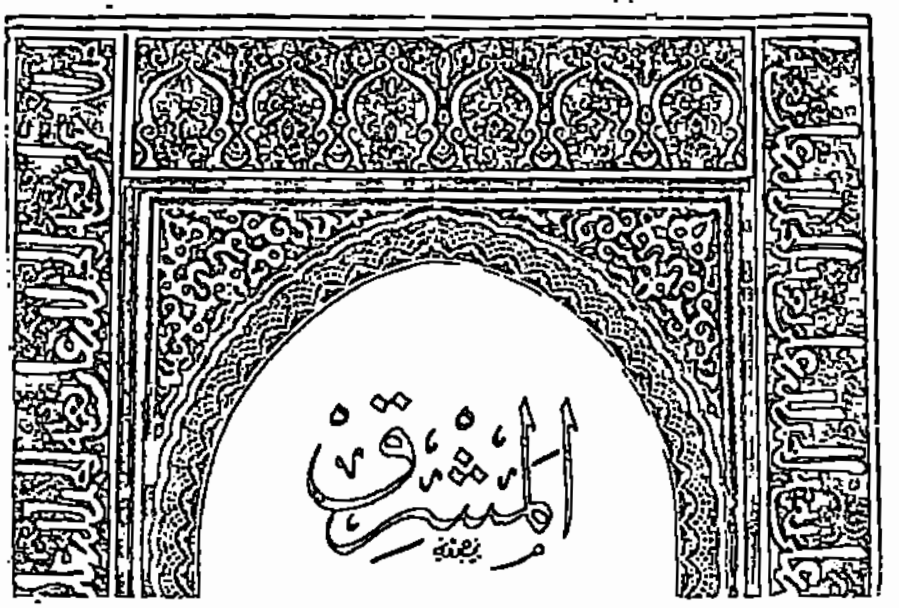

ايار ١٩٣٠

نفوذ السيّد المسيح
في حياتنا الدينية*

يقلم الاب مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

الدين صلة الانسان بالله صلة ضرورية ؛ وضرورة هـذا الاتصال ناشئة عن كون هذا ابن آدم خليقةً اي صنيعة ، وغيرُ خافٍ ان كل مصنوع منوطٌ حتماً بصانعه . ولما كانت كل خليقة تعيش وتأتي اعمالها ، أيّة كانت ، حسب طبيعتها ، طبقاً للمبدأ الفلسفي القائل : تجري الصنائع مجرى الطبائع ، اراد الله سبحانه ان يقوم تعلقنا به بموجب طبيعتنا . واذ كان الانسان مركباً من نفس وجسد ؛ وكانت نفسه متصفة بقوى اهمها العقل والارادة ، رتّب ، جلّ جلاله ، ان يتوقف الدين ، اي اتصالنا به ،

* تقدم لنا في «مشرق» السنة الماضية مقالان في نفوذ السيد المسيح : الاول في حياتنا الادبية (ص ٤٨١) والثاني في حياتنا الاجتماعية (ص ٨٠١)

بنوع خاصّ ، على فعلين وهما معرفته تعالى ، وهذا مما يرجع الى العقل ؛ ومحبته عزّ وجل ، وهو مما ينوط بالارادة ، ومن ثمّ بالقلب . واذ كان الله الحقّ الاسمى ، والخيرّ الاعظم ، وجب على الانسان ان يعرفه بعقله ، أعني بقوته المعدّة لادراك الحقّ ؛ وان يميل او يتجه اليه بارادته ، اي بقوّته التواقة الى الخير . وهذه المعرفة ، وهذه المحبة ، المتكونة منهما حياة الدين الفطري ، قد رفعهما الله الى درجة لم يكن للانسان مندوحة للوصول اليها بما فطر عليه من القدرة الطبيعية ، وهي درجة معرفته ومحبته بنوع فائق الطبيعة . ومن ذلك نشأ الدين العُلوي الموحى به ، اي الذي انزله الله تدريجاً اولًا في بدء الخليقة ؛ ثم على يد موسى كليمه ومن تبعه من الانبياء الصادقين ، على تعاقب الدهور ؛ الى ان اكمله على يد ابنه الوحيد ، حسبما جاء به بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين بقوله : ان الله كلّم آباءنا قديماً بالانبياء كلاماً متفرق الاجزاء ، مختلف الانواع . وكلمنا اخيراً في هذه الايام بابنه الوحيد الذي جعله وارثاً لكل الاشياء ، وبه انشأ الدهور .

فالدين ، طبيعياً كان ام منزّلًا ، قائم اذن في معرفة الله وما يتعلق به ، وقائم ايضاً في الميل الى الله ومحبته ، في الاوّل بنوع طبيعي ، وفي الثاني بنوع فائق الطبيعة . وهذه هي حياتنا الدينية . فاذا تقرّر هذا ، لنبحث عن كيفية نفوذ السيد المسيح فيها ، اي في معرفتنا له ، ثم في محبّتنا له ، تقدّست اسماؤه .

* * *

يعلّمنا ايماننا ان الله موجود ، وانه خالق الكائنات عموماً ، وخالقنا خصوصاً . فمن ثمّ كان من اللائق ، بل من المحتوم ، ان يحصل لنا معرفة بالله وما يعود اليه ، اي بالعالم ، وبنفسنا . وهذه المعرفة المثلثة الموضوع قد زاد تعالى على درجتها الطبيعية درجة سامية ، فائقة الطبيعة . فبسرّ الثالوث الاقدس ، قد عرفنا حقيقة طبيعته سبحانه ، وهو امر كان ادراكنا عاجزاً غاية العجز عن تصوّر وجوده ؛ وبسرّ الخلق ، علمنا حقيقة العالم ؛ وبسرّ سقوط الانسان ، قد اطلعنا على حقيقة طبيعتنا . وهذا كله قد كمل بالوحي الذي اتانا مع الانجيل الّا ان هناك سرّاً حوى مفعول هذه الاسرار كلها ، ولخّص

لنا المعارف المنطوية عليها ، وهو سرّ التجسد الالهي ، الذي بواسطته خاصةً كان للسيد المسيح الاثر البليغ في معرفتنا الدينية .

فسرّ التجسد ، او سرّ الكلمة المتأنس ، قد علمنا علماً فائق الطبيعة بطبيعة الله وحياته في ذاته . لان هذا السرّ يظهر لنا ان الكلمة الازلي هو شعاع جوهر الآب ، وضياء مجده ، الذي نزل من السماء الى الارض لكي يلقننا معرفة الله التي بها نقدر ان نحصل على الحياة ، كما قال ، لاسمه المجود موجهاً الكلام الى ابيه : « قد جئتُ يا ابتاه لتكون لهم الحياة الابدية ؛ وهذه الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ، والذي ارسلته يسوع المسيح .» فاحدى غايات التجسد كانت ان يعرّفنا الله ويبيّن لنا سرّ حياته الداخلية ، اي مثلما هو بذاته . وهو امر كان ، قبل ان يعلنه المسيح ، سراً غامضاً حتى على حكماء هذا الدهر . نعم ، كان للثالوث الاقدس بعض الاثر في تقاليد الامم ، وفي العهد القديم ؛ وكان له في الطبيعة عينها بعض الرموز . نعم من شأن الفلسفة والعلم اثبات وجود الله واعماله في الخارج . اما حياته الداخلية فلم يكن في امكان انسان ، وان كان آيةً في العبقرية ، ان يطلعنا عليها . فالمسيح وحده اوحى بها الينا في انجيله . ودونك ، في ذا الشأن ، بعضاً من اقواله : « الا تؤمن ، يا فيلبس ، اني في الآب ، والآب فيّ ؟ آمنوا اني في الآب وان الآب فيّ . وانا اسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر يقيم معكم الى الابد ، الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي . فهو يعلمكم كل شيء .» وقبل صعوده ، قال لرسله ذاكراً اقانيم الثالوث : « اذهبوا الى العالم كله ، وعمدوا الامم باسم الآب والابن والروح القدس . » هذه هي شهادة الابن عن الثالوث ، اي عن نفسه وعن أبيه وعن روحه القدوس . وبعد ان اوحى المسيح بسرّ الثالوث ، بشر الرسلُ باسم الثالوث ؛ وباسم الثالوث علّموا البشر ؛ وباسم الثالوث عمدوا الامم ؛ وباسم الثالوث كان الشهداء يرسمون علامة الثالوث على جباههم ، قبل نزولهم مضمار الاستشهاد . فانت ترى ان سرّ الثالوث هو أساس الدين المسيحي ، وان ملخصه هو في سرّ التجسد ، اي في المسيح الاله المتأنس .

فضلاً عن اسرار الله ، قد كشف لنا المسيح حقائق الكون ، لانه نور ساطع على المبروآت جمعاء ، كما قال هو عينه : « انا نور العالم » . وبالحق انه نور العالم ، ليس في دائرة العقليات والادبيات وحدها ، بل هو نور العالم حتى في مادّياته . اذ ان يقيننا بالله يعرّفنا باصل العالم وخالقه . وبما ان المسيح هو كلمة الله ، فقد حوى في ذاته مثال المخلوقات باسرها ، وكما ان كلّ شيء فطر على صورته ، فقد كُوّن ايضاً بفاعلية قدرته ، كما جاء في الانجيل يوحنا : « كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان . » فمن الجهة الواحدة نراه صادراً من الآب صدوراً ازليًّا . ومن الجهة الثانية نجده خالقاً للعالم في الزمان . فالكلمة ضياء الآب ومجده وصورة جوهره . والكلمة مثال الخلائق وباريها . وهذا هو السرّ الذي القى على العالم نوراً لامعاً ، لانه نور العالم . فالايمان بالوهية المسيح يحلّ عقدة اصل العالم وخلقه وتكوّنه ، ويبيّن لنا ان بين الله وبين خلائقه برزخاً شاسعاً ، وان الكلمة المتجسد قطع هذا الشوط القصيّ ، فاضحى الصلة بين الله ومبروآته ، وباتحاده في شخصه الالهي الطبيعتين الالهية والانسانية ، اثبت تميّزهما الواحدة عن الاخرى .

ثم ان سرّ التجسد يظهر لنا ، بعد اصل العالم ، نظام الكائنات وتناسقها . لاننا نعلم ان هناك رجالاً نوابغ ، وفلاسفة جهابذة قد درسوا طبائع الكون وعنوا في احواله ، فوجدوا في كلّ مكان ان الخلائق العليا ، اذا اتصلت بالسفلى ، رفعتها الى طبيعتها ، وجعلتها في مقامها . من ذلك النبات يجتذب اليه المعادن فيضمها ، لا بل يمزجها بحياته النباتية . والحيوان يستميل اليه النبات فيتمثله ، فيدخله في حياته الحيوانية . والانسان المرتفع على كل ما تقدم من المخلوقات يجذب اليه هذه الكائنات المعدنية والنباتية والحيوانية فيستغرقها كلها في طبيعته البشرية ، ويرقى بها الى مقامه الروحي الذي يتصل به هو عينه بالطبقات العقلية الرفيعة . فاذا كان هذا نظام الطبيعة ، اي نظام اجتذاب الخلائق العليا للخلائق السفلى ، واستيعاب طبيعتها ، افلا يمكن ان نتصوّر ارتفاعاً واتحاداً آخر ؟ اجل ان هذه الاتصالات قد جعلت الانسان كالصلة بين الخلائق الجسمانية التي هي ادنى منه ، وبين الخلائق الروحية التي هي اعلى منه .

لكن هناك اتحاداً لم يشاهد قط مثله في العالم ، وهو الاتحاد الذي اجراه الله بعجينة ، اي اتحاد الانسان به تعالى ، وذلك في شخص المسيح الاله الحق ، والانسان الحق ، وهذا الذي كلل ذلك التناسق العجيب.

على ان المسيح الكلمة المتجسد يعلمنا ، فضلاً عن هذا ، علم الانسان ؛ اي انه يعرفنا بوحدة اصلنا وبطبيعتنا . لان من معتقدات الدين المسيحي ان البشرية قد سقطت ؛ وان منقذها هو المسيح ابن الله . مما نتج عنه ان كل البشر الذين خلصوا بيسوع المسيح هم الذين هلكوا جميعهم بآدم . فالسقوط جرى بآدم الاول ، والقيام بآدم الثاني . وهاتان هما العقيدتان المتجاذبتان والمتحدتان ؛ وكلتاهما تثبت وحدة الجنس البشري ، اي ان جميع هؤلاء الانام قد نزلوا من صلب ابيهم الوحيد ؛ مما جعلهم باسرهم اخوة بالطبيعة ، كما هم اخوة بنعمة المسيح . وبعد وحدة الاصل ، يلقننا سر التجسد معرفة الطبيعة البشرية . لان عقيدة اتحاد لاهوت ابن الله بناسوتنا اتحاداً اقنومياً يوحي الينا ان لنا ، فضلاً عن الجسد المادي ، نفساً روحانية ، حرة ، خالدة ، لما هو معلوم من اصول ايماننا ان التجسد لم يتوقف على اتخاذ الكلمة من طبيعتنا الجسد وحده ، بل انه قد اضحى انساناً كاملاً اي ذا جسد ونفس اتحدهما بلاهوته. مما يثبت معه ان في الانسان نفساً حية روحانية ، لظهور النفس متميزة في المسيح عن جسده وقائمة بذاتها ؛ ونفساً حرة ، لانه قبل باختياره المطلق الآلام والموت ؛ ونفساً خالدة ، لان نفسه باقية في المجد معه.

ومما يفيد به سر التجسد هو انه يوضح لنا تاريخ البشرية . اذ بدون المسيح كل التاريخ ، سابقه ، ومعاصره ، وتابعه ، لا معنى له . فبدونه لا يُرى في الشعوب المتقدمة حينه سوى الاضطراب والتنازع والتطاحن والتفاني . ولاسيما في الشعب الاسرائيلي ؛ فانه ان لم يُعتبر بآبائه ، وانبيائه ، وشرائعه ، كتمهيد لمجيء المسيح ، فلا يكون وجوده وتاريخه الا زعبرة وشموذة . وكذا القول في تاريخ تأسيس الدين المسيحي ونشأته . فبغير عقيدة التجسد ، اي بدون الايمان بالمسيح ابن الله ، لا يمكن شرحه . اذ لا يمكن تعليل الانقلاب الذي احدثه . لان انحذال العالم الوثني ، وانتصار المسيحية اما هو

حادث الهي اي من تأثير المسيح الاله ، والّا فهو حادث مستحيل الوجود. وهذا ايضاً شأن التأريخ الذي عقبه الى يومنا هذا ؛ فان ثبات النصرانية ، على الرغم من الاضطهادات ، والتقلبات ، والهرطقات ، ليس الّا من مفاعيل الوهية المسيح وقوته الفائقة الطبيعة المستمرة في الكنيسة حتى منتهى الدهور.

صفوة القول ، ان المسيح الاله هو كالفنار المنتصب على ساحل بحر هذا العالم متلألئاً ، ساطعاً بنوره على سبيل الحقائق الضرورية لنا معرفتها في ما يرد الى الله والعالم وطبيعتنا . فان كل شيء به ، ومعه ، وفيه. هذا نفوذه الاول.

. . .

على ان نفوذه الثاني ، اي تأثيره في الارادة التي بها نميل الى الله ونحبه ، ليس باقلّ فعلاً من تأثيره في عقلنا . لاننا اذا انعمنا النظر في حقائق ديننا القويم ، نرى فيه عجائب مذهلة ، نسبةً الى الاعمال التي اجراها الله لخير الانسان. لكننا نشاهد ، فوق كل تلك المدهشات ، عجيبة من اغرب العجائب تلمع بينها كالشمس النيرة ، الا وهي عجيبة المحبة. اننا اذا عمقنا في التأمل ، نجد الهاً واجب الوجود ، كائناً بذاته ، قديراً ، غنياً ، حكيماً ، لا بداية له ولا نهاية ؛ حياته وغايتها ، سعادته وكمالها ، في نفسه. الّا ان هذا الاله فيه خاصية جوهرية هي خيريته او جودته الفيّاضة التي دفعت حكمته وقدرته الى العمل . فمن فيض هذه الجودة الالهية. قد برزت قدرته الى الخارج ، فابدعت العالم بما فيه من كائنات سماوية وارضية . وفي جملة هذه المبروآت صنع الله الانسان ، مميزاً اياه عن بقيّة الخلائق . وكان ذلك عجيبةً من عجائب المحبة الالهية . خلقه من مادّة جامدة نفخ فيها روح الحياة ، الروح العاقلة ، المريدة ، الحرّة ؛ فجاء بذلك على صورة باريه ومثاله . فوضعه الله في جنة عدن ، وافاض عليه بركاته وآلاءه ، واقامه ملكاً مسلطاً على الطبيعة . وما سبب ذلك ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . سقط الانسان في الخطيئة ، رغماً مما زينه به من الكمالات ، وانعم عليه من الخيرات ؛ لكن الله ، عوضاً عن ان يهمله ، قصدَ ان ينشله من وهدة الهلاك . وما داعي ذلك ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . الملائكة اشرف من الانسان واسمى ، وكانوا قد سقطوا قبله ،

فهلكوا هلاكاً ابدياً . اما الانسان ، ففضّله الله على الملائكة ، واختصّه بعنايته ؛ فما علة ذلك ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . هذه الارواح السماوية لم تخطئ الّا خطيئة واحدة في ظرف من الظروف شقّ على طبيعتها غاية الشقّ ، فحصلت على النمس الدائم ؛ وابناء البشر يأثمون ولا يزالون مكرّرين الاثم ، رافضين نعم الله ، محتقرين وصاياه ؛ ومع ذلك يحتم الباري ان ينتقدهم ، ولماذا ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . كان في امكان الله ، وقد حتم بان يغفر للانسان جرمه ، ان يفعل ذلك بكلمة واحدة تصدر من فم القدوس ؛ لكنه قصد ان يخلّصه بتجسد كلمته الازلي لان التجسد اسمى درجة لاتحاد خليقته به ، واولى وسيلة لارضاء عدله ورحمته معاً . وهذا ايضاً عجيبة من عجائب المحبة الالهية . صار الكلمة جسداً وحلّ فينا ، اي انه ضمّ طبيعتنا الواهية الى طبيعته الالهية باقنومه السامي ؛ فاصبح الاله انساناً ، والانسان الهاً ؛ وبذلك ارتفعت الافعال البشرية الى مقام الافعال الالهية ؛ مما قدر الانسان معه ان يكفّر ، في شخص المسيح ، عن خطيئته . اجل ان هناك لسرّاً عميقاً ؛ لكنه عجيبة من عجائب المحبة الالهية . كان يوسع المسيح ان يكتفي بهذا العمل العظيم الذي لم يُرَ له مثيل ؛ لكنه لم يرضَ بان تواضع هذا التواضع ، بنزوله من علوّ بهائه ، حيث يحفّ به الملائكة ركّعاً سجّداً ، مسبّحين ، لانه رأى في قلب الانسان ميلاً شديداً الى الكبرياء ، فعزم على ابرائه منها . ولذا ، فهو الذي لم يحسب خلسة ان يكون مساوياً للآب ، قد اخلى نفسه وتواضع وصار في اشبه مثل الانسان ؛ فولد في مغارة حقيرة ، من أم فقيرة ؛ وعاش حياة المسكنة ، وقضى ايامه الرسولية بالتعب والعناء ، معرضاً ذاته للمذلة والهوان ؛ وهذا كله عجيبة من عجائب المحبة الالهية . ولم تكن المحبة لتقف عند هذا الحد ، لانه هكذا احب الله العالم حتى انه سلم ابنه الوحيد ؛ والى اي شيء سلّمه ؟ سلمه ليس الى الشغل والتعب ، او الذل والعار فقط ، بل اذ كانت الخطيئة تدفع الانسان الى طلب الراحة والرفاهية والتنعم والملذات ، قد قرر الآب الازلي ان يدفع ابنه الى العذاب والآلام الفادحة ، لكي يفهم البشر ان لا كفارة عن الخطيئة الّا بتجرّع غصص الالم

وان طريق الصليب هو طريق السماء . وهذه عجيبة من عجائب المحبة الالهية. كان كافياً للمسيح الاله ان يأتي فعلًا واحداً ، كذرف دمعة ، او سكب نقطة دم او ما اشبه ، للتكفير عن المآثم البشرية ، ولفداء عوالم جمّة ؛ لكنه ، فضلًا عن الاتعاب ، فضلًا عن الاحزان والكروب ، فضلًا عن الاوجاع والآلام ، اراد ان يموت الميتة الشنيعة المريعة ، ميتة الصليب ؛ لكي يثبت لنا انه كما ان لكل شيء حدًا اقصى ، اقتضى ان تبلغ محبته للبشر اقصاها ؛ هو الذي اذ كان قد احبّ خاصته احبهم الى الغاية ؛ وهو القائل : «ما من حب اعظم من ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه !» . وهذا اعجب عجائب المحبة الالهية . على ان المسيح المغرم بحب البشر لم يشأ ان يضحّي مرةً واحدة على الصليب كفّارة عن مآثمنا ، بل انه ، ارواء لغليل حبه لنا ، قد رسم سر المحبة الذي امكنه به ان يكون ذبيحة متواصلة على المذابح ، تصدّ عن الخطأة سيف غضب الله الساخط عليهم ، لتفاقم شرورهم ؛ وفيه ايضاً صار طعاماً وشراباً لتقوية نفوسنا ؛ وزوّادة لنا في سفرنا الى الابدية ؛ فضلًا عن انه رضي ان يبقى سجيناً في كنائسنا ، ليقوم لدينا مقام الرفيق والخليل والمعزّي والمشجّع لنا في ضيقاتنا وتجاربنا واحزاننا . وهذا ليس عجيبة من عجائب المحبة فقط ، بل هو عجيبة العجائب ، واقصى حدّها ، واوج كمالها ، في سبيل المحبة ، من قِبَله تعالى نحونا نحن البشر .

هذا ومعلوم ان المحبة تدعو المحبة . فاذ كان للسيد المسيح النفوذ البالغ في انشاء المحبة الالهية في الحياة الدينية ، فلم يكن الّا ليتشيّ في قلوب البشر محبة تقابل هذه المحبة الربانية . وبالحق ان المسيح القائل : «جئت لالقي ناراً على الارض ، وما اريد الّا اضطرامها» ، قد اضرم حريقاً في العالم ، هو حريق المحبة المتأجج في النفوس ، منذ تجسده وحياته الارضية ، وعلى مدى الدهور . فنجم عن ذلك تجاه عجائب المحبة الالهية ، عجائب المحبة الانسانية . اذ مقابل محبة المسيح ، وبنفوذ نعمته ، نرى عجائب المحبة في امّه القدوسة ، التي عاشت على الارض متحدة القلب بابنها الالهي ؛ فكانت كشعلة ملتهبة بنار المحبة ، وشاركته في اتعابه وآلامه ؛ ولم تفارق هذا العالم الّا لشدة حبها

لحشاشة فؤادها وفلذة كبدها. وكذا القول عن القديس يوسف ، مربي المسيح؛ فانه بعيشه قرب اتون المحبة قد التهب هو ايضاً بنيرانها الالهية . وبنفوذ نعمة المسيح الفعالة ، قد تأثر رسله الاطهار الذين تركوا كل شيء وتبعوه . ولاسيما زعيمهم بطرس الذي اجهر بحبه للمسيح في فرص كثيرة ؛ ويوحنا الذي دعاه الانجيل: «التلميذ الحبيب» ، وقد اضحى رسول المحبة . وماذا نقول عن بولس الرسول الذي التهب بمحبة معلمه ، فكان يصرخ قائلاً : «من يفصلنا عن محبة المسيح ، اشدّة ام ضيق ، ام جوع ، ام عري ، ام خطر ، ام اضطهاد ، ام سيف ؟ اني واثق بانه لا موت ولا حياة ولا علوّ ولا عمق ولا خلق آخر يقدر ان يفصلنا عن محبة الله التي هي في المسيح يسوع ربنا.» وقد ختم جميع الرسل ايمانهم ومحبتهم باقتدائهم بمحبة معلمهم العظيمة ، اي انهم سفكوا دماءهم في سبيل دين يسوع الذي بشروا به. وعلى مثال الرسل قد سار الوف فالوف من المسيحيين ، رجالاً ونساء ، شيوخاً وعجائز ، شباناً وشابات ، صبياناً وصبيات ، فاغرموا بحب المسيح هذا الغرام البالغ بهم اقصى الحد ، اي انهم تكبدوا العار والهوان ، والتعب والمشقات ، والعذاب والآلام القاسية ، شهادةً للدين المسيحي ، فنالوا اكليل الظفر والسعادة الخالدة. وبمعزل عن هؤلاء ، هناك الوف وربوات من الابرار ، من مهاف النساك والمتوحدين ، والرهبان والراهبات ، والكهنة والاساقفة والاحبار للعظام ، الذين احبوا المسيح حباً جماً ، وحققوا في نفوسهم فضائله السامية ، محاربين امياله المعوجة ، سائرين في طريق الكمال ، فاحصوا بين القديسين.

الخلاصة ، ان للمسيح الاثر البليغ ، والنفوذ التام في حياتنا الدينية . لانه عرّفنا الله معرفة كاملة بطريقة فائقة الطبيعة ، واطلعنا على حقيقة العالم ، وماهية طبيعتنا وحياتنا . وكان الوسيط بين الله ابيه وبيننا . وقد جاء فالقى في العالم نار المحبة ، فاشتعلت بها النفوس ، وتأججت لهباتها في القلوب ؛ فدفعت تلاميذه الى اتيان الاعمال العظيمة ، والمشاريع الباهرة ؛ مما حيّر الورى في كل عصر وجيل . فسبحانه هو القادر على كل شيء ، هو المنير العقول ؛ هو المضرم القلوب ؛ وله المجد والتسبيح والشكران في كل اوان.

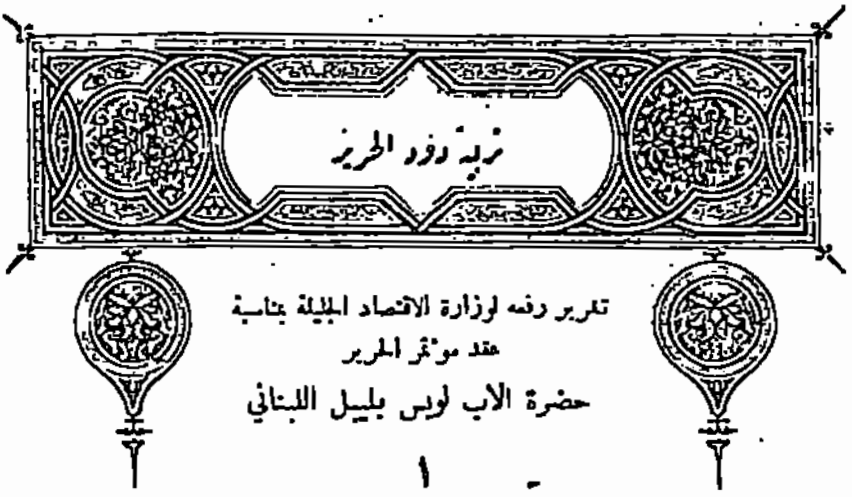

تقرير رفعه لوزارة الاقتصاد الجليلة بمناسبة
عقد مؤتمر الحرير
حضرة الاب لويس بليبل اللبناني

١ -

الرهبانية البلدية اللبنانية المعروفة بكونها صاحبة الاملاك المعتبرة في جبل لبنان ، وبان معظم وارداتها من محصولات دود الحرير «الغاليج» ، قد حصل منذ نحو ثلاثين سنة نقص غير قليل في عموم موسمها المذكور بالرغم من انتخاب البزر الجيد ، فأحدث في ميزانيتهـا عجزًا غير قليل اهتمت به الرهبانية المشار اليها جد الاهتمام ، فأخذت تدقق في البحث لمعرفة اسباب ذلك النقص . فاوعز اليَّ الرؤساء ان اتفرَّغ لدرس هذه الحالة لمعرفتهم ميلي الى تربية دود الحرير ، قصدَ معرفـة تلك الاسبـاب وطرق ملافاتها . فبعد درس طويـل ، استغرق نحو ثلاث سنين ، توصلت الى معرفة تلك الاسباب واخترت طرقاً لتلافيها ، وبعد ان امتحنت صلاحيتها في مختلف جهـات لبنان وحصلت على افادات تؤكد وتثبت نجاح ما وصفت ، نشرتُ تلك القواعد مطبوعة في كتيب ، ونشرتها ايضاً في الجرائد لتعمَّ فائدتها .

وبائنـاء وجودي في القطر المصري ، سنة ١٩٢٧ ، قررت الحكومـة المصرية تجديد زراعة التوت واحياء تربية دود الحرير ، فقدمت ذاتي لخدمتها ، بعد الاستئذان من رؤسائي ، فقبلت طلبي واستدعتني وزارة الزراعة المصرية واجرت عليَّ امتحاناً ، ثم قررت ان يُسلَّم اليَّ انشاء زراعة التوت وتربية دود الحرير . على انه قد حال دون تتميم هذه الفكرة انقلاب الشؤون السياسية في الحكومة المصرية .

والآن وقد طلبت الوزارة اللبنانية من رئيس رهبانيتنا العـام ان يبعث

احد افرادها ليمثلها في هذا الاجتماع الموقر، انتدبني قلمه للقيام بهذه المهمة. وها كم خلاصة مباحثي في هذا الامر:

ان النجاح في تربية دود الحرير، اي الحصول على كمية وافرة من الشرانق جيدة مقطوعتها، متينة خيوطها، ظريف لونها، يتوقف على ثلاثة شروط:

١ً : ان يكون ورق التوت صالحاً للتغذية. ٢ً : ان يكون قليل الرطوبة. ٣ً : ان يكون الدود تربّى تربية صحيحة فنيّة.

قلت اولًا : ورق صالح للتغذية . يفهم بذلك ان تكون متوفرة فيه مادة الصمغ والسكر وهما المادة الهامة والكلية الفاعلية لتغذية الدود . وان يكون الورق نظيفاً من الغبار وليس عليه ندى. ان توفير مادة الغذاء في الورق تحصل من حراثة الارض جيدًا دفعات متعدّدة . ومن تسميدها بتسميد حيواني او نباتي او كيماوي. وقلت ثانياً: قليل الرطوبة، اي غير ورق التوت النابت في ارض كثيرة الرطوبة «نعص». وطريقة تجنبه وازالته تقوم بترميل التربة بساكة ثلاثين سنتيمترًا، ثم تحرث ليمتزج الرمل مع التربة فيمتص الرطوبة، او بانشاء مصارف «اقنية – مصافي» لترشيح الماء. لكل عشرة امتار ارض قناة بعمق خمسة وسبعين سنتيمترًا، بعرض خمسين سنتيمترًا، فيرشح الماء من هذه الاقنية فتنشف الارض، فتصلح للحراثة في حين اللزوم وتزول رطوبتها . ان وفرة الرطوبة في الارض تسبب مائية زائدة في ورق التوت فتجعله طرياً . ولما كانت دودة الحرير لا مخرج خاص للماء في جسمها كباقي الحيوانات، بل ترشحه من مسام بدنها «جلدها» مثل العرق، فوفرة الماء في الورق زيادةً عن معدّله القانوني وعجز مسام جلد الدودة عن افرازه كله، يبقي منه كمية زائدة عن المطلوب في جسمها، فيسبب لها مرض الاستسقاء «الاصفر» وهذا الداء لا علاج له، وهو غير وراثي ولا هو ميكروبي.

التربية الفنية

ان التربية الفنية الصحيحة تقوم بعملين: الاول عمل تمهيدي يتناول مقدمات التربية وهي انتخاب البزر الجيّد، اصلاح البيوت، التطهير، المدخن . وعمل

تنوي مداره : المنحل ، التربية ، التلحيق .

٥ انتخاب البزر الجيد

ان البعض من اهالي البلاد يولدون البزر على طريقة العلامة پاستور الشهير ، وهو المعروف بين العموم بالبزر البلدي ، او الثنوي . وقد نجحوا في عملهم فافادوا واستفادوا . وانني الفت نظر الحكومة الجليلة الى هذا الأمر الهام بان تراقب عملهم ، وان تكافئ المجتهدين منهم باتقان هذا العمل بجائزة مالية تنشيطاً لهم ، وان تضرب على يد المبزر الخائن الغاش تأديباً له وتحذيراً للغير . ثم ان توجب على تجار البزر بان يجلبوه من الجنس الجيد رحمة بالفلاح ، والمالك ، والتاجر ، والدائن ، والمدينون . وان تقتص من بعض تجاره الخالين من الذمة والشرف ، اولئك الذين طمعاً بربح طفيف يخدعون شاري البزر ويغرونه برخص الثمن على انه بزر جيد عال مفحوص فحصاً افرادياً ، حال كونه بزراً عاطلاً ، غير مبالين بالخسارة الفادحة . ثم تذيع نشرات على صفحات الجرائد تنصح بها الفلاح ان يشتري البزر الجيد المكفول ، ولو كان ثمنه غالياً ، وان لا ينخدع بترغيب وتشويق التاجر الطماع الخائن فيشتري من بزره المشكوك بجودته لرخص ثمنه توفيراً لبعض دريهمات قليلة لا توازي خسارته بمحل موسمه .

٦ اصلاح البيوت

يكون ١ : باعادة تطيينها وتنظيفها ، وذلك قبل زمن التربية لتنشف وتزول الوطوبة ، فانها مضرة . ٢ : بدهن الحيطان بالكلس « طرشها » وليس بالتراب المعروف بالحوارة التي ، ولو كان لونها ابيض ، فما هي الا تراب . لأن الكلس من اهم المطهرات القاتلة الميكروبات المخزونة في حيطانها . ٣ : بعمل السقائف « السدة » بجانب الحيطان بحسب الاصطلاح المعروف . وان يكون الفراغ بين الطبقتين لا اقل من شبرين ، اي ثلثي الذراع ، لتجديد الهواء ولمنع تخزن الهواء الفاسد مولد العفونة التي هي من اكبر الآفات على حياة الدود . لانه قد ظهر بالامتحان ان كل طبق دود وجد على ورقه عفونة كانت خسارته تامة . ثم ان الفراغ الواسع يفسح مجالاً للعمل بحرية في اطعام الدود والكشف عليه والتشييح ... ولا اعتبار لاعتراض البعض ان هذه

الطريقة تجعل بيته غير كافٍ لتربية كل موسمه، وانه ليس في امكانه ان يعد مكاناً آخر لتربية الباقي منه . فانني ارد على اعتراضه باحالتـه الى قول المثل الدارج « ياما احسنه ، لا ياما اكثره ! » اذ انه يستعيض باقبال موسمه وربح الورق الـذي يذهب سدًى في تربية قزّ غير مقبلة. ٤ : ان يكون لبيوت القزّ ولو شباكاً واحداً من الزجاج لفوائده الجمة واهمها : دخول اشعة الشمس المنيرة للاستنارة ، ودخول اشعتها السوداء لقتل الميكروبات وازالة العفن ، لان الاشعة السوداء هي كلية الفاعلية في التطهير . قال الاطباء وهم صادقون فيما قالوا : « حيث تدخل اشعة الشمس لا يدخل طبيب ، اذ ليس مرض . »

٣ التطهير

ان الآفات القتالة التي تفتك بهذا الحيوان الذهبي الثمين ، كما قد اثبت الامتحان ، هي نتيجة ميكروبات مخزونة في بيوت القزّ وآلاتها من سنة الى سنة ، وليس كما يظنّ البعض ان كلها من عدم جودة البزر .

ان امراض دود الحرير هي على نوعين : ارثي واكتسابي ، والآخر اكتسابي فقط . ان مرضي البربرين « التحرق » والفلاشيري « الذبلان » يكونان ارثاً واكتساباً ، واما ميكروب المسكردين « الحرتوق » فلا يكون ارثاً بل اكتساباً فقط ، اي عدوى ، لان القز التي فتك فيها هـذا الداء الوبيل لا يدعها تتحول الى فراشة لتضع بزراً ، فتكون العدوى اذاً اكتسابية اما من الهواء ، اي ان الهواء يحمل على اجنحته ميكروب هذا المرض من بيوت موبوءة الى بيت سليم يجاوره ، واما من خزن جزة موبوءة ببيت سليم ، او بمشترى او استقراض آلة قزّ تربى عليها قزّ مصابة بهِ . واما من زبل بقر عمل منه طباق جديدة او مسح بها سطح طباق عتيقة مأخوذ من بقر أكلت جزة كان دودها مصاباً بهذا المرض . واما مرضا البربرين والفلاشيري فيكونان ارثـاً وعدوى ، وقد يكون تأثير الارث ليس بنقل الميكروب بـل بنقل الضعف في بنية الدود ، او استعداد قابلية لذاك المرض . والعدوى تكون اما من ميكروبات مخزونة في البيوت ، او في الآلة ، او من لمس دود مريض ثم لمس دود سليم ، او من ثياب المربين او الزائرين ، او من الهواء كما في مرض المسكردين « الحرتوق » .

والعدوى من الهواء محصورة في داء البرين فقط . فالطريقة اذاً للتخلص من هذه الآفات تكون بقتل الميكروبات بواسطة التطهير .

كيف نطهر بيتك ؟

قد ثبت لنا بالامتحان ان اقرب مادة للتطهير فعّالة ، قليلة الكلفة ، سهلة العمل ، وسهلة الوجود هي راسب الكبريت المعروف بالكبريت السودي بكمية وافرة وافية . فالبيت المؤلف من عمودين (ثمانية امتار طول بخمسة عرض بثلاثة امتار علو . . .) يكون ١٢٠ متراً مكعباً ، يلزم لتطهيره ست اقات اي ٧٢٠٠ غرام ، لكل متر مكعب ٦٠ غراماً ، فهذه الكمية كافية لتطهيره . واما اذا كان المرض من نوع المسكردين فيلزم ضعف القيمة ، او على الاقل تسع اقات كبريت تحرق كلها دفعة واحدة ، ويكرر العمل بهذا المقدار من الكبريت سنة فسنة الى ان يتأكد ملاشاته . والبيت القائم على عمود واحد (ستة امتار بخمسة عرض بثلاثة امتار علو) يكفي لتطهيره من اربع اقات الى ست اقات كبريت ، اذا كان فيه مرض المسكردين . ومن قلل كمية الكبريت عما ورد اعلاه لا يحصل على نتيجة مرضية .

مقدمات التطهير : اولاً سدّ الابواب والشبابيك والطيقان والشقوق وكل المنافذ سدّاً محكماً ، بعد ان يكون قد تمّ وضع السقايف ، وفوقها الطباق والنزار وكلها يستعمل في التربية بعد غسله بماء جار نظيف وليس بماء ساكن واكد محقون وسخ . ثم يستحضر اثنا عشر قعفاً « شقفة » بجوفة او ما يقوم مقامها ، لكل نصف اقة كبريت شقفة ، ثم توزع في عموم البيت توزيعاً نسبياً ، وخاصة في الزوايا ، لان فيها الخفايا . والقصد من تجويف الشقف وكثرتها مفهوم . ثم يوصد الباب ويحكم سدّ شقوقه ، وبعد مرور ٢٤ ساعة من اشعال الكبريت تفتح الابواب والشبابيك وتبقى هكذا مفتوحة مطلقة للهواء ٢٤ ساعة . وان الفائدة من هذا التطهير تشمل الدودة والانسان .

٢ المدخن

انه لما كان المدخن اي محل التوليد الصناعي « النتف » للدود من اهم

مقدمات التربية الفنية ، وما سيكون له من شديد التأثير على حياة الدود في مستقبل الحين ، فاني آخذ بالاسهاب عنه فاقول : ان القواعد الاساسية الفنية لتدخين البزر هي : ١ً تطهير البيت بالكبريت ووضع مقدمات المدخنة : سقايف ، وجاق ، ميزان حرارة ، فاصل من الخام الابيض ..الخ . ٢ً وضع فاصل من القماش الابيض بين البزر والنار « الوجاق » ، وعلو هذا الفاصل نحو متربن او مقدار قامة انسان معتدلة . ٣ً وضع البزر داخل هذا الفاصل بعيداً عنه نحو متربن او اربعة اذرع . ٤ً وضع وجاق حديد تكون قاطله مكوّعة لنشر الحرارة وحفظها بعيداً عن الفاصل مقدار متر ونصف او ثلاثة اذرع . ٥ً وضع ميزان حرارة سنتيكراد معلقاً على القماش الفاصل بين البزر والوجاق خارجاً . وميزان آخر يعلق في السقايف داخلاً ، قصد التدقيق بمعرفة الحرارة ، وعند وجود الفرق بينهما ، تعتبر اشارة الميزان الداخلي . ٦ً التهوية لتجديد الهواء ، بفتح باب وشباك متعاكسين ، اذا وجد ، والا فمتقابلين ، فاذا كان الطقس معتدلاً ، اربع مرات ، لكل ست ساعات مرة ، ليلاً ونهاراً الى مدة لا تكون اكثر من ثلث ساعة ولا اقل من ربع ساعة . واذا كان الطقس رديئاً ، فنصف المدة . ٧ً يلزم تدفئة البيت « المدخن » ، قبل ادخال البزر فيه برفع الحرارة الى درجة ١٦ . وهي الدرجة الاولى من سلم الصعود بدرجات الحرارة لتوليد البزر « نقف » . وتضعد الحرارة في اليوم الثاني الى ١٧ . وفي اليوم الثالث الى ١٨ . وهكذا دواليك الى درجة ٢٢ ، في اليوم السادس . ففي هذا اليوم على الغالب يبتدي نقف « فقس » البزر . ويجب الوقوف عند هذه الدرجة الى ان يتم نقف كل البزر الموجود في المدخن ، لان رفع الحرارة الى ما فوق هذه الدرجة مضرّ لا طاقة للدود الناقف على احتماله مدة وبما تطول الى ٣٦ ساعة ، بدون اكل . وان ما نراه من الدود المائت مصرصراً في الفطرة الاولى او الثانية او الثالثة هو نتيجة ارتفاع الحرارة عن حدودها المشروحة اعلاه . ٨ً يحرك البزر اربع مرات في الليل والنهار لكل ست ساعات مرّة ، ويتمّ ذلك بتقليب الخرايط الى الجهات الاربع وتعليقها في السقايف عكس التعليق الاول.

(للمقال صلة)

بقلم المحامي الكنفي الدوري لويس الخازن

عنوان كتاب حديث وضعه حضرة الاب العالم بولس عبود ، يقع في ٣٣٦ صفحة بقطع ثمانية ، ثمنه ليرة سورية ، يطلب من مطرانية الروم الكاثوليك في بيروت

غير خافٍ على احد ان للقضاء الكنفي ، خصوصاً في نواحينا ، صفة ليس فقط كنائسية دينية محضة ، بل مدنية ايضاً . لان دستور البلاد وانظمتها يقرّان للمحاكم الكنائسية بهذا الحق المشروع ، ويوجبان على المحاكم المدنية النزول عند احكامها ، وعلى الدوائر الاجرائية تنفيذ الاحكام الصادرة من قبلها .

ومن المعلوم ايضاً ان اللغة العربية هي لغة البلاد ، واكثر الاحكام تصدر بها ، ولكن يا للأسف نقول انه حتى الان نرى معظم القوانين والدساتير التي يتحتم على المحاكم الكنائسية العمل بموجبها والركون اليها لم ينقل الى لغة الناطقين بالضاد . ولهذا نرى بعض القضاة يخبطون خبط عشواء ، ولا يلتمون الّا ببعض السّور من قوانين القضاء ؛ بيد ان العربيين لم يتركوا في تآليفهم في لغاتهم زيادة لمستزيد في هذا الصدد ؛ ولهذا قد اصبح القضاء الكنفي عندهم موضوع احترام لكل من يطالع احكامهم حتى من اخصام الكنيسة انفسهم ، وعكس ذلك نرى في احكام دواويننا ، فقلّ ان تقرأ حكماً صادراً من قبل احدها الّا وترى دلائل الجهل بادية فيه .

فلما احسّ بهذا الفراغ حضرة الاب العالم بولس عبود عمد الى ترجمة

الكتاب الرابع من مجلة الحق القانوني اللاتيني الى اللغة العربية ، وعلق عليه عدة حواشي مفيدة توضح للقارئ ما غمض من معانيه ، اخذها عن ائمة القانونيين فجاء الكتاب وافياً في بابه ، واضحاً كافياً في اسلوبه ، وهو يحتوي على ٦٤٢ مادة ، ويقسم الى ثلاثة اجزاء: الاول في الاحكام واصولها في عامة الدعاوي ، والثاني في دعاوي تطويب واثبات قداسة عبد الله خاصة ، والثالث في اصول بعض احكام خصوصية لانزال التأديبات الكنائسية . وكل جزء يقسم الى عدة فصول وابواب لا حاجة الى تعدادها . وقد عني حضرة الاب عبود بترجمة الجزئين الاول والثالث واهمل الثاني ، لان ما جاء فيه من خصائص دواوين رومية فقط .

هذا هو كتاب حضرته الذي حق له الشكر عليه من كل من يقرأه ، اولاً لحسن اختياره هذا السفر ، ثانياً لان الترجمة جاءت صحيحة واضحة خالية من التعقيد والابهام .

ولكن ، كما ترى ، فان حضرته قد اهمل النظر ، ولو عن سبيل الايجاز ، في قوانين الكنائس الشرقية عامة ، لان ما ترجمه يعني اللاتين فقط الا ما كان منه بطبيعة حاله ، او لورود النص ، متعلقاً بالشرقيين . بيد ان لكل من هذه الكنائس قوانين وانظمة مرعية مأخوذة من قوانين الكنيسة القديمة لا يتوجب عليها ، بل لا يحق لها ، استبدالها بسواها مهما كانت لاسيما ما كان منها مقيداً في المجامع المعروفة الحديثة كالمجمع اللبناني عند الموارنة ، ومجمع الشرفة عند السريان ، ومجمع بزمار عند الارمن .

علاوة عن ذلك ، يوجد ايضاً للكنائس الشرقية ، لاسيما في الدعاوى الزواجية والتأديبات الكنائسية ، قوانين وتعاليم وضعها الاحبار الرومانيون يجب السير بموجبها . من ذلك تعليم بنديكتوس الرابع عشر الصادر في ٢ ت٢ سنة ١٧٤١ ، وتعليم جميعة المجمع التريدنتيني الصادر في ٢٢ آب سنة ١٨٤٠ ، وتعليم مجمع البروباغندة الصادر سنة ١٨٨٣ ، وتعليم مجمع السانت اوفيس الصادر في ٢٠ حزيران سنة ١٨٨٣ ، وتعليم المجمع نفسه الصادر في ٣٠ حزيران سنة ١٨٩٢ ، وكذلك تعليم المجمع نفسه الصادر في ٥ حزيران سنة ١٨٨٩ ،

وتعليم هـذا المجمع ايضاً الصادر في ٢٥ حزيران سنة ١٨٨٥ ، وتعليم مجمع البروباغنده بخصوص التأديبات الصادر في ١١ حزيران سنة ١٨٨٠ ، وغير ذلك كثير من التعاليم ممـا تجب معرفته والاعتماد عليـه في الدعاوى الكنائسية في ربوعنا .

اما قول حضرته في المقدمة ، تحت عدد ٣ ص٥ ، بانه يجب على الكنائس الشرقية ان تلجأ في قضائها عند الحاجة الى مجلة الحق القانوني اللاتيني الحديث بدلاً من القديم ، فهذا قول فيـه نظر ولا نعلم من اي وجه يوجب حضرته هذا الالتجاء ، فلو قال يُستحسن ، لربما سلمنا معه .

اخيراً كنا نرد من حضرته ان يعتمد في تعريبـه على الكلمات والتعابير الشرعية المألوفة ، لان الالفاظ التي اعتاد ارباب القانون استعمالها اصبحت كالفاظ وضعية لا يجوز استبدالها ، لانه قد يتسرب الى ذهن القارئ اشكال في ادراك المعنى المقصود فمن ذلك قوله : « عناصر المحاكمة » بدلاً من « اركان المحاكمة » — « صورة » بدلاً من « شكل » — « الاستعلام باللسان » بدلاً من « الاستعلام بالمشافهة » او الشفهي — « احداث » بدلاً من « امور » — « لها القوة القانونية » بدلاً من « مرعية الاجراء » — « محامي الوثاق » بدلاً من « محامي السرّ » — « دفع الحكم الى القاضي الاعلى » بدلاً من « رفع الحكم » — « نقل » بدلاً من « زائد » ، الى آخر ما هنالك مما لو رمنا تعداده لطال بنا المجال كثيراً . ولكن كل هذا لا يغير نضارة التأليف بشيء ، وحضرة صديقنا الاب المترجم من العلماء الاعلام الذين يشار اليهم بالبنان .

ثم لا يسعنا ختام هذه العجالة من غير ان نوجه كلمة شكر وامتنان لسيادة الحبر المفضال العلامة المطران باسيليوس قطان ، رئيس اساقفة بيروت على الروم الكاثوليك ، لانه طبع هذا الكتاب على نفقته الخاصة . فحبذا لو حذا حذو سيادته غيره من السادات ، وساعدوا اصحاب العلم والتأليف على نشر ما لديهم من ثمرات جهودهم خدمة للعلم وللانسانية .

التنوير والفن

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

افتتحنا مقالاتنا في المشرق الاغر ، لسنتين خلت ، بمقال عنوانه «التنوير الكهربائي» بينا فيه ماهية اللمبة الكهربائية ، وما احدثته من التغيير في صناعة التنوير ، فاصبح ذلك فناً من فنون الهندسة له قواعده وطرقه . وقد ضربنا صفحاً ، وقتئذٍ ، عن نتيجة ذلك الانقلاب من الوجهة الفنية او الجمال الفني (*côté artistique*) سواء كان في المنازل او المحلات التجارية او الصناعية . واننا نعود اليوم الى الكلام ، فنقول :

اول ما ظهرت اللمبة الكهربائية قابلها العالم اجمع بالاعجاب ، وتهافت الكل على اقتنائها ، غير انه ما عتم ان زالت عنها صبغة الجديد فشق على ساكني القصور والمنازل الفخمة استبدال تلك الثريات الحاملات من البلور لآلئ ، بذلك البلبوس البسيط . فاستبقوها ليس فقط كبقايا ثمينة لعصر فائت بل كمصابيح جمعت بين المنفعة والفن . كيف لا وانوار شموعها ، عند المساء ، بانعكاسها وانكسارها ضمن سلاسل البلور ، لابلغ من انوار الكهربائية الساطعة !

وبقيت للشموع رموزها ومقامها الى اليوم . فكم تنير من قصور ، في الليالي الساهرة رغم تقدم الكهرباء !

التنوير وصناعة الزجاج

وادرك الزجاجون الاوربيون ، ومنهم من طار صيتهم كالمعلم الفنان لاليك (Lalique) والمعلمان سابينو (Sabino) وبرزل (Perzel) ، حراجة الموقف فعمدوا الى تطبيق فن الزجاج ، خصوصاً البلور بشكله الحالي المعروف «بالزجاج

المرصوص » (*verre pressé*) ، على التنوير الكهربائي . فجاؤوا تارةً بثريات وتارةً بسقوف منوَّرة ، دقيقة الصنع ، جميلة المنظر ، اذا لعبت ببلورها الانوار اضاءت كحلية من الالماس في شمس الضحى . وقد مثلنا ، في الرسم ١ ، احدى تلك الثريات صنع الفنَّان سابينو ، طولها تسعون سنتيمترًا وعرضها ثمانون ، تسع واحد وعشرين من الاضوية مختبئة ضمنها ، مخفية عن العيون . فاذا اضيئت لعبت انوارها بالزجاج من انعكاس الى انكسار ، فظهرت كالكوكب الوضَّاح .

اما الرسم ٢ فيمثل فانوساً عُمل بشكل حلق من الالماس مستطيل الشكل يعلق في احدى زوايا البهو او في بعض الملهى من بيوت الاغنياء . صفائحه من الزجاج المرصوص جمعت بعضها الى بعض بواسطة اقلام معدنية بيضاء ، وصانعه الزجَّاج برزل .

وفي الرسم ٣ ثريَّا ، لست عشرة لمبة ، تجعل في السقف ، وكلها من الزجاج المنقَّى . عملت بشكل مكعبات منقوشة غاية في الذوق .

ولو تيسَّر لدينا صور فوتوغرافية اخرى لنشرنا غير ذلك من الاشغال الساحرة في صناعة الزجاج استخداماً للنور .

التنوير وتنمية الدعوة

لم تنحصر صناعة الزجاج في الثريا الكهربائية من جهة التنوير ، بل تعدَّتها الى اشياء كثيرة كالاعمدة والينابيع المنوَّرة . ومن الاعمال المدهشة السقوف المنوَّرة ، وهي سقوف من الزجاج المنقَّى اضيئت وراءها الوف من الاضوية ، فنثرت من خلال زجاجها اشعتها البيضاء . ولم تخفَ اهمية التنوير على اصحاب الاشغال وخصوصاً التجار ، فعمدوا اليه في بث دعوتهم لايقاف الزبون واستلفات انظاره . وقد حققت محلات «الفاري لافاييت» في باريس رواقاً امام ابنيتها طوله مئتا متر وعرضه عشرة ، سقفه مجموع مكعبات من الزجاج الابيض المنقَّى . وينير ذلك الرواق ، من وراء الزجاج ، الوف من الأضوية ، على اختلاف الوانها . والمدهش هو ان تلك الاضوية لا تضيء الَّا حسب نظام موضوع فلا ينير منها مثلاً الا الابيض ، ثم الاحمر ، ثم الازرق ، ثم تتقلب الالوان والانوار فيصير

الرسم ١
اوجه « الميدوز » (على الناووس الثاني)

الرسم ٢
ابو الهول (على الناووس الاول)

الرسم ٣
بعض ما استخرج من التابوسين الرابع والخامس (من اليمين الى الشمال):
سوارا كلوديا پروكلا وتحتهما خاتم من الذهب، والى جنبه فصّه من الزمرّد.
اناء من الزجاج الاخضر القاتم وتحته هتان من البروتر.
قطعتان من البروتر تشبه الدواة.

الرسم ٤
سوارا كلوديا پروكلا الذهبيان
(وجدا في التابوس الرابع)

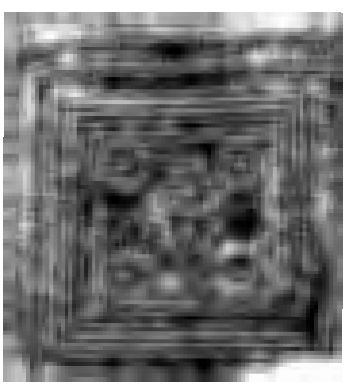

الرسم ٥
اله الحب (على التابوس الرابع)

ترتقالياً ما كان احمر ، وازرق ما كان اخضر ، وهلمّ جرّا ؛ الى ان يظهر السقف متموّجاً بجميع الالوان . ولا ادري هل يُصدّق القارئ ان القوة التي تستخدم لانارة سقف ذلك الرواق تبلغ السبعمائة حصان ، اي ما يكفي لانارة مدينة بكاملها .

وقد شاع اليوم ، لغلاء السقوف المنورة ، التنوير المخفي ، وهو يحقق بان تخفى الاضوية ضمن فرز من البناء ، يحيط بالسقف في اعلى الحائط ، ترسل الاضوية اشعتها على السقف فتنعكس على صحن الغرفة او الدار . وفي الرسم ٤ صورة لمقهى شركة القهوة البرازيلية في باريس انير بالطريقة المخفية . ففي المقهى صحنٌ من المعدن الابيض معلق في الوسط ، وضمنه ثماني لمبات كهربائية قوة كل واحدة منها ثلثمائة شمعة ، وقد حكمت تلك الاضوية لكي ترسل اشعتها بشكل شهاب يضرب في السقف فينيره ثم تنعكس انواره فتنير ما في اسفل .

ومن اشهر ما عُمد اليه في التنوير ، لبثّ الدعوة ، الجريدة المصورة وهي احرف من نور تنير امام اعين المارين مركبة الكلمات والجمل حسب المطلوب .

ولا بد لنا ، بهذه المناسبة ، من ذكر اعلان محلات سيتروين للاوتوموبيلات فوق برج ايفل ، ويرى فيه المارّ اسم سيتروين مصنوعاً باحرف من نور من اعلى البرج الى اسفله ، وحواليه نجوم لمّاعة من الاضوية تتموّج بالوان شتى . ويروى ان اكلاف هذا الاعلان بلغت المليوني فرنك ، خلا ما يصرف كل يوم من الكهرباء في سبيل انارته . . .

التنوير والحديد المطروق

ومن الصناعة التي عزّزها فن التنوير صناعة الحديد المطروق . فهذا يستخدم اليوم ليس في البناء فقط ، بل ايضاً في كل ما يتعلق بالتنوير كالقناديل والثريات الكهربائية وغيرها . وقد جاء ثمن تلك الآنية غالياً لغلاء قيمة الحديد المطروق . واننا نأسف لعدم تمكننا من نشر بعض ما يُصنع من الاشغال في هذا الفن .

هذه لمحة يستنتج منها ما بين صناعة التنوير والفن الحديث من الاتفاق ، فالمنفعة اذًا لا تنفي الفن ، ولو كان العكس احياناً صحيحاً .

نوابغ المدرسة المارونية الاولى: ٤

ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني (١٥٩٤؟ـ١٦٦٤)

بقلم الخوري بطرس غالب

٤

المؤلف والاستاذ (تابع)

مجلوم ان المجمع النيقاوي عقد في صيف سنة ٣٢٥ بناء على دعوة وجهها قسطنطين الكبير الى اساقفة سلطنته وهذا المجمع هو المسكوني الاول . كان القصد من التئامه اعادة السكينة الى الكنيسة وبواسطتها الى المملكة لان آريوس الناكر الوهية السيد المسيح كان قد شوّش الافكار بما القاه ونشره من التعاليم الضالّة والمضلة. فاجتمع في نيقية ٣١٨ اسقفاً اكثرهم من اساقفة الشرق. واجتمع حول الاساقفة عدد عديد من الكبراء والشمامسة والمؤمنين حتى بلغ عدد الجميع الفي نسمة ونيف . وترأس المجمع اوسيوس اسقف قرطبة مستناباً عن البابا سلفستروس يوازره كاهنان من كنيسة رومية وحضر المجمع قسطنطين الكبير بالذات . فبعد ان قرّر المجمع العقيدة بالوهية المسيح ووضع قانون الايمان النيقاوي الذي لا تزال الكنيسة ترتله في اعيادها وطقوسها، حدّد ايضاً ان يحتفل بعيد الفصح في الاحد التابع لبدر الربيع ، واذا وافق تمام البدر يوم احد جُعل العيد في الاحد الذي يليه.

ثم انصرف الآباء الى وضع قوانين تتعلق بتنظيم الكنيسة وتهذيب الاكليروس وتعيين سلطة الاساقفة . فعلى هذه القوانين دارت ابحاث الحاقلاني ليثبت انها اكثر من عشرين قانوناً بخلاف ما تتمسك به الكنيستان اللاتينية واليونانية . اما الكنائس الشرقية غير اليونانية فانها تقبل قوانين اخرى عديدة غير المذكورة ، وعددها جميعها ٨٤ كما قلنا . وهذه القوانين ظلت مجهولة في الكنيسة

اللاتينية حتى الجيل السادس عشر الذي فيه اشار اليها الاب رومانو اليسوعي ، لانه كان قد وجد في خزانة بطريرك الاقباط نسخة من هذه القوانين لكنه لم يقدر ان يحصل عليها ، فاشتراها العلّامة السمعاني في ما بعد واهداها الى المكتبة الڤاتيكانية . وقد نقلها الى اللاتينية اولًا توريانوس سنة ١٥٧٨ . ثم جاء الحاقلاني بعده فبحث الامر بحثاً تاريخيًا مدققاً فأدّى للكنيسة خدمة جلى اذ اثبت صحة نسبة هذه القوانين الى المجمع النيقاوي وأيّد بها رئاسة الحبر الاعظم .

اما كون مجمع نيقية سنّ اكثر من عشرين قانوناً فذلك مما لا ريب فيه . لان الكنيسة التي كانت قد نالت حريتها رأت ان من الضروري ان ترتّب احوالها وتسنّ ما يلزم من الانظمة لتنسيق ادارتها وتعيين واجبات كلّ من ابنائها حسب ما يعهد اليه من الوظائف فتحدّد مسئوليته وحقوقه . وكذلك فان الملك قسطنطين كان يرغب في ان يوطد أسّ النصرانية في مملكته . فلم يرَ انسب من اجماع آباء المجمع على فرض القوانين وتسليم تنفيذها للاساقفة انلّا يُضطر هو الى استعمال القوة في حمل الشعب على الخضوع لها .

فاذا تحققتَ ذلك بدت لك ضرورة سن قوانين عديدة تتناول هذه المواضيع المتفرّقة .

اما الاثباتات التاريخية فاخذها الحاقلاني من كتابات الاحبار الاعظمين منها فقرات ذكرت فيها قوانين لا يُرى لها نصّ في العشرين قانوناً التي تحفظها الكنيسة اللاتينية ، ومن هؤلاء الاحبار لاون الكبير وسوزيوس ويوليوس المعاصر لمجمع نيقية . ومن شهادات المجامع البيعية كالمجمع الافسي والانطاكي والأرلي ومن اقوال الآباء كباسيليوس الكبير وايروتيموس واغوسطينوس . واهم شهادة هي شهادة اثناسيوس بطريرك الاسكندرية القديس فانه في رسالته الى البابا مرقس ذكر ان مجمع نيقية سنّ ٨٠ قانوناً .

اختصرنا ما قاله الحاقلاني للافادة حتى يعلم الجميع ما لهذا المؤلّف من الاهمية التاريخية واللاهوتية اذ ان بعض القوانين المحفوظة عند المراطقة حتى اليوم ، وهي المعروفة بالقوانين العربية ، تثبت بنوع جلي رئاسة الحبر الاعظم في الكنيسة نذكر منها القوانين ٣٧ و ٤٤ و ٧١ التي يقال فيها « ان لصاحب رومية

سلطاناً على سائر البطاركة مثل بطرس في سلطانه على رؤساء النصرانية اجمع ، لانه خليفة المسيح على بيعته كلها . ومن خالف هذا القانون يكون محروماً من المجمع . وان المقام الاول يخصّ الحبر الروماني على ما امر به الرسل ، وانه يحق للاسقف الذي يحطه مجمع الاساقفة ان يرفع دعواه الى محكمة الحبر الروماني ، وعلى الجميع ان يرتلعوا لحكم اسقف رومية .»

فكان لنشر ذاك البحث تأثيرٌ شديد في الكنيسة فقرّظه الذين طالعوه ، ونثروا على واضعه ابرهيم الحاقلاني درر ثنائهم .

ومع انهماك علّامتنا بالتأليف وجمع الموادّ اللازمة لكتابه الاخير الشهير ، اي الانتصار لاقتيشيوس ، كان يهتم بما ينفع طائفته ساعياً في طبع الكتب الطقسية . فانه في السنة ١٦٥٠ راقب طبع الفنقيط الشتوي ، وساعده في ذلك المطران اسحق الشدراوي الذي كان فحص ترجمته الى اللاتينية ، بالاشتراك مع الشماس يرجس ابن العريان ، والخوري يعقوب الحصرونيين ، ومرّاشيوس واجازوا طبعه . وهذه الترجمة باشرها مرهج ابن نمرون الباني ، ابن اخت الحاقلاني ، فكمل الطبع على يد يوسف بن داود البلوقيتي ، في سنة ١٦٥٦ .

وحين كان اسطفان الدويهي تلميذاً في المدرسة المارونية ، كان الحاقلاني يُعنى به ويهتم بامره ، ولمّا قرب ميعاد رجوعه الى وطنه سنة ١٦٥٥ ، سعى الحاقلاني في تعيينه من قبل المجمع المقدس مرسلاً رسولياً . فتوفق بتخصيص معاش له قبل ان يغادر رومية ، وما سيم الدويهي كاهناً في ٢٥ آذار سنة ١٦٥٦ حتى أُرسل للكرازة والتبشير وقد اشتهر خصوصاً في حلب حيث قضى نحو خمس سنوات يعظ المؤمنين بمثله وتعليمه .

وفي تلك الآونة نشر الحاقلاني دفاعه عن ترجمة الكتاب المقدس المطبوعة في باريس ، ردّاً على انتقاد مناوئيه وكان ترك باريس نهائياً في سنة ١٦٥٣ ، بعد ان نشر تاريخاً للشرق مأخوذاً عن مصدر عربي قبطي ، من جملة ما ورد فيه تاريخ خلفاء مصر وبطاركة الاسكندرية الاقباط حتى الجيل الثالث عشر . واضاف اليه ملحقاً في تاريخ العرب قبل الاسلام . ومؤلف التاريخ هو ابن الراهب القبطي ، كتبه في الاسكندرية في ١٣ بشنيه سنة ١٠٢٣ للشهداء المقابل

لثلاثة ايام خلت من شهر ذي القعدة سنة ٧٠٦ هجرية.

ولما عاد الى رومية نشر لاتحة الكتبة السريان لمؤلفها عبد يشوع الصوباوي ، اسقف تصيبين ، وعلق عليها الحواشي الضافية المفيدة ، وجعلها تقدمة للكردينال فرنشيسكو بربريني الذي كان آنئذٍ في باريس ، في حماية الكردينال مازارن ، لان شعب رومية كان قد هاج عليه وطلب من البابا اسكندر السابع حطه عن مقامه . فعارضهم مازارن وجعل الكردينال بربريني في حمايته وخلصه . اما اللاتحة المذكورة فكان قد اخذها الحاقلاني من دير الصليب في القدس ، لكنها لم تكن متقنة بل مشحونة اغلاطاً ، وقد خلط الحاقلاني بين الصوباويين. ولذا اعاد السمعاني طبع هذه اللاتحة في مكتبته الشرقية ، وصحح ما كان سالفه قد شطّ فيه . اما المطبعة التي اهتمت بنشر هذه اللاتحة فهي مطبعة يوسف البساطيتي من عائلة بيت هلال.

ويُذكر للحاقلاني نسخه بيده كتاب رتب وضع اليد «السيامية» وكتاب «الكهنوت» لمؤلفهما مار يوحنا مارون . واشترك مع العالم لاون الأسيوس في تأليف كتاب جمعت فيه الادلة المثبتة اتفاق الطوائف المسيحية الشرقية في عقائد الايمان ، وقد طبع هذا الكتاب في مدينة مارينس.

ونشر كتاب الصلوات الفرضية للموارنة ، بعد ان صدّق الترجمة نسيبه مرهج ابن نمرون سنة ١٦٥٦.

وبعد سنة انتخب البطريرك جرجس البسبعلاني خلفاً للسعيد الذكر البطريرك يوحنا الصفراوي ، فاسرع الى ارسال معتمد يحمل صورة اعترافه بالايمان ، مع صكوك انتخابه ، الى مقام الحبر الاعظم لينال التثبيت ودرع مثل الرئاسة ، وكلف بهذه المهمة راهباً كاملاً ذا فضيلة ممتازة . انما شدّة التعب ومشاقّ الاسفار أضنت قوى الرسول فما لبث ان فارق الحياة الفانية بعد وصوله الى رومية بمدة وجيزة . عندئذٍ كتب رئيس الكرملتان الى البطريرك يطلب منه ان يفوّض الى راهب آخر ان يقوم بالمهمة المذكورة. لكن المساعي التي بُذلت لم تأتِ بنتيجة ، فظنّ البطريرك ان بعض ابناء طائفته كتبوا عرائض ضده الى رومية لان بعضهم كتب اليه من رومية ان الدرع لا يُعطى بدون نفقات. فاغتم

كثيراً لهذا التأخير ، وكاد يقنط لانه كان يقول هما الداعي لهذا التسويف وقد نال اسلافي الدرع حالاً دون ابطاء ؟ ماذا صنعت للكرسي الرسولي حتى اعامل هذه المعاملة ؟ » وزاد في غمّه ازدراء الروم والمراطقة به ، وكانوا قد ألّفوا اغاني عاميّة يردّدها الشعب للتهكم عليه . والامر المدهش هو ان البطريرك ، كان رجل الله يعيش عيشة نسكية لا يأكل اللحم ابداً بل يصوم صيامات كثيرة ، ويحب قطيعه محبة فائقة ويساعده ما استطاع ، وخصوصاً في تلك الايام التي كان فيها الحمادية يسومون الموارنة عسفاً وظلماً . فانه باع حتى اثوابه وما في كرسيه من فرش ، على حقارته ، ليساعد بنيه ، واضطر ان يهرب من كرسيه مرتين ، فنهبها الحمادية وتركوها بحالة يرثى لها .

ففي تلك الضيقة ، التفت البطريرك الى ابناء الطائفة الموجودين في رومية ، وخصوصاً الى الحاقلاني ، صاحب الكلمة المسموعة في البلاط الروماني ، وكتب اليه يشكو حالته ويطلب مساعدته واليك ترجمة الرسالة التي بعثها تنشرها ليطلع القرّاء على الحالة النفسية التي سببها تأخير وصول الدرع الرئاسي اليه . وتاريخ الرسالة ١٥ آذار ١٦٦٠ ، ومصدرها قنوبين :

الحقير جرجس بطرس بطريرك الموارنة الانطاكي

بركة سيدنا يسوع المسيح تحلّ على ولدنا العزيز ابرهيم الحاقلاني . لتحلّ بركة الرب عليك وعلى اولادك وعائلتك وقواك . امين

وصل لدينا ولدنا العزيز رئيس الكهنة يعقوب الحصروني ، وهو حامل الكتب والكؤوس والاثواب البيعية وسائر الامتعة التي ارسلها سيدنا الكلي القداسة البابا اسكندر السابع بفضل مساعيك . وقد وصلت كلها كما جاء في لائحة الجمع المقدس . ان رئيس الكهنة يعقوب قد اثنى الثناء الطيب على محبتك واجتهادك وتعلقك بالطائفة المحبوبة ، فسرّنا ذلك جداً وجلّ ما نرغبه ان تواصل السير على هذه الخطة . فليباركك الرب . كذلك فرحنا كثيراً لشديد تعلقك بامير نا المحبوب جداً الرفيع المقام ابي نوفل باستحصالك له على رتبة فارس وعلى امتيازات اخرى من لدن الكرسي الرسولي . ونرغب ان تتم محبتك جدّ الاهتمام في قضاء مصالح طائفتنا حتى يبقى لك ذكر طيب وشكر جزيل . فضلاً عن ذلك نعلم محبتك بما يتعلق باتخابنا كما ارسلنا اليك من الكتابات حتى تساعد من جهتك لتنال لنا التثبيت من قداسة سيدنا الحبر الاعظم ! لكنه حتى اليوم لم يجدّ علينا شيء ولا نعرف ما حصل من هذا القبيل ، نجهل الاسباب التي لاجلها يُماطَل في قضاء هذه المسئلة التي ما زالت تتأجل من مدة طويلة . فعليه لثقتنا بتمام اجتهادك نرغب اليك ان تمد يدك لمعاونة الاباء الكرمليتان بما تستطيع بكل

اجتهاد لانجاز الشؤون المذكورة المتعلقة بنا كما كنا قد سبقنا وكتبنا لك . فان رجاءنا موضوع في الله تعالى وفي محبتك. ونكرر لك البركة.

ان براءة التثبيت كانت قد صدرت قبل ذلك من لدن الحبر الاعظم اسكندر السابع ، بتاريخ ٥ نيسان ١٦٥٩ ، ثم تلاها رسالة من البابا نفسه الى البطريرك المذكور صدرت بعد شهرين من تاريخ الاولى ، يُقرّ بموجبها البطريرك في سلطته ويطلب منه ان يبرز حسب العادة المألوفة صورة الاعتراف بالايمان ، وصورة قسم الامانة للحبر الاعظم ويوقعهما بخط يده امام مطراني اهدن وحوقا ، او امام احدهما لتُرسَلا الى رومية . وكانت الرسائل الاولى قد غُيّر فيها العبارات المعتادة وعوض التثبيت طلب البطريرك رضى الحبر الاعظم بالانتخاب فكان ذلك من اسباب تأخير ارسال الدرع الذي كان قد قرّر منحه البطريرك قبل ان كتب الكتابة الاخيرة للحاقلاني ، لان البابا اسكندر السابع اثبت انتخاب البطريرك في مجلس الكرادلة المنعقد في ٢٦ ايار سنة ١٦٥٩ . لكن البراءة لم تصل الّا في شهر آب سنة ١٦٦٠.

فمن رسالة البطريرك التي ذكرناها يتضح جليًا ان تأخير التثبيت كان قد احزن البطريرك ، وان الحاقلاني لم يكن ليهمل مصالح طائفته - يدلّك على ذلك تكليف رؤسائها اياه ان يقضي امورًا شتى يجتهد بكل قواه لينال حلّها بالشكل المرضي ، بما يسر السيد البطريرك . ويثبت ما قدمنا ان الحاقلاني كان ذا نفوذ واعتبار لدى الباباوات والكرادلة والملوك ، كما قال عنه القس الياس عويضه النزيري في زجليته عن تلاميذ رومية.

وشاس ابرهيم حاقلاني مشهور بعلم الكلداني
علمه مشهور بين الناس عند البابا والجلاس
عمل غراماطيق سرياني يورث حياة الابدية
دام كان مرفوع الراس بيواب الكردينالية

وكان في تلك السنة قد هيّأ كتابه المشهور « الانتصار لافتيشيوس » وضعه في اللاتينية ، وترجمه منها المطران يوحنا الحصروني ، مطران طرابلس ، لكن هذه الترجمة فُقدت ، وقدمه للموافقة فكلف الاب فرنسوا ده سانت اوغسطين ان يفحصه فقرّظه قال : « ان هذا الكتاب جاء طبق المرام مستندًا الى حجج

قوة ، سلس العبارة . يبرهن مؤلفه اقواله بحذق ويثبتها اثباتاً ، يهاجم بشدة ، تجد فيه الدقة ومضاء العزيمة وصدق اللهجة . اما براعة المؤلف في اللغات الاجنبية فتكسب اقواله قوة غير اعتيادية . انشاؤه هجومي ، لكنه يمتاز بما فيه من الاتقان .»

وقال مرّاشيوس احد الفاحصين : « ان الكتاب حصن منيع قام في وجه خصوم الكنيسة الرومانية المقدسة ولهذا اعتقد انه يستحق ان يُكتب بماء التبر وان يلمع لمعاناً خالداً . فليعش المؤلف طويلاً بتّه عزّ وجلّ لخير الكنيسة حتى يدافع عن الدين الكاثوليكي بمؤلفات كهذه ويفضح جنون الكافرين الاشرار المملوء ضرراً في العالمين وينظفهما منه تماماً .»

طبع الكتاب في السنة ١٦٦٠ فجاء مؤلفاً بديعاً دحض فيه الحاقلاني اقوال البروتستانت في اصل رئاسة البابا وسلطان الاساقفة ، وخصوصاً ترهّات العالم البروتستاني سلدانوس الذي تعقبه الحاقلاني وبيّن فساد مزاعمه .

فجاء وصواب وصفه الاب يوسف العينطوريني اليسوعي ، تلميذ المدرسة المارونية ، في قصيدة هاك ترجمتها :

« عقلك الشامل جمع بعهد جبال لبنان الذهبية القمم وغنى الاردن وخمر التيبر . بشدة « براعتك تؤدب بكلامك «الانكليزي» (سلدانوس) ، وبعد حصولك على السلام والامان « بفهرك العدو تلبث متحفزاً للقتال . لكنك حليم في ذكائك تكرّم اسم الاب الجليل (الحبر « الاعظم) برغائبك وقلبك ونطقك . من يمكنه ان ينكر انك قلت كلاماً خالداً جديراً بالارز الذي اعطي مجد لبنان واللاتيوم (بلاد الرومانيين) متحدّين»

ومع انكباب الحاقلاني على التعليم ، كانت مساعيه لا تزال متواصلة لخدمة طائفته . فانه اجتهد كل الاجتهاد لمساعدة الخازنيين في مراميهم السياسية ، ونال للشيخ ابي نوفل رتبة فارس روماني ، وحمل البابا على التوسّط لدى الملك العريق في المسيحية ليسمي ابا نوفل قنصلاً فرنسياً في بيروت . فكتب اليه البطريرك جرجس البسبعلاني يثني عليه اجمل الثناء كما سبقنا وقلنا .

وفي تلك السنة باشر الحاقلاني ، الذي كان قد ستاه البابا اسكندر السابع ترجماناً ورئيس كتبة اللغات الشرقية في رومية ، وضع الجزء الاول من فهرست المخطوطات الشرقية في المكتبة الفاتيكانية . لكنه لم يتمكن من انجازه ، فواصل عمله نسيبه يوحنا بن متى بن نمرون الباني . ثم جاء بعدهما السمعاني

الكبير فقام بالعمل ، وألف مكتبته الشرقية المشهورة التي لا تزال مرجع المدققين.

ومما لا بد من ذكره ان جود العائلة المديشية سهل لعلمائنا ان ينشروا مصنفاتهم القيمة ، وبالخصوص الاميران فرديناند ثم ليوبولد الذي رُقي فيما بعد الى مقام الكرادلة . وبناء على طلبهما ومدهما يد المساعدة ، ترجم الحاقلاني شرح مقالات ابولونيوس ، لابي الفتح ، وهي مقالات مشهورة في العالم كله ، ترجمها علامتنا الى اللاتينية فقال فيه سرهج ابن نمرون : « ماذا اقول في الرجل الذائع الصيت في العالم اجمع ، الذي اعزّ مقامه اوفر الرجال علماً في اوربة واسراء الكنيسة لنبوغه في المعارف ، واجزلوا عطاءه وتكريمه.» وترجم ايضاً مرآة العالم في الادبيات من اللغة الفارسية الى اللاتينية.

وله غير ذلك من المؤلفات والترجمات التي اعلت مقامه بين العلماء ، واكسبته نفوذاً عند ارباب السلطتين الروحية والمدنية.

وافته المنون في اليوم الخامس عشر من شهر تموز سنة ١٦٦٤ في رومية ، بعد ان كان الحبر الاعظم ستاه حافظاً لخزانة مار بطرس ، فبرح هذه الفانية شبعاناً من الايام ، بعد حياة ملأتها خدماته العظيمة للعلم وللدين ولطائفته.

قال عنه العلّامة رينودوت في تأليفه «دوام الايمان»: « ان شهرة الحاقلاني العالية ومؤلفاته المشتهرة عند العلماء الذين لم يجهلوا اعتبار الاحبار الاعاظم له وعطفهم عليه ، قد اصبحت معروفة لدى كل احد . وقد كرّمه رجال العلم الاوفر شهرة في اوربة.»

وفي التذكار المئوي لانشاء المدرسة المارونية الذي احتفل به سنة ١٦٨٥ ، قد نُظم في مدحه الشعر الآتي تعريبه:

«ولد لحبر الادب والحكمة فلمع ببراعته في اللغات وبباعه المتنوع ولذا شمله الامراء والاحبار بعطفهم العظيم لانهم عالمون انهم لا يستطيعون ، بدون مساعدة الآداب ، ان يملكوا او يحسنوا تدبير الملك. طلبه اولاً الى فرنسة لويس الثالث عشر ثم لويس الرابع عشر . ساعد مساعدة نشيطة في طبع الكتاب المقدس ونشر مؤلفات كثيرة في الفلسفة والرياضيات ، وكتب كثيراً ضد الاراطقة . وقد ظن بصواب ان افضل ما يزين به عقله تخصصه لخدمة الدين».

والحق يقال ان هذا العلّامة لم يضع وقته ، ولم يدفن الوزنات التي اعطاه اياها سيده ، بل تاجر بها وربح عشر وزنات مثلها.

فانه خدم العلم بما جمعه من مخطوطات ، وما ترجمه منها ، وما ألّف من كتب . وخدم الدين بمصنفاته الآئلة لتأييد الحقائق التي تعلّمها الكنيسة ، ولبيان اتفاق فروعها المختلفة على تلك العقائد ، وخدم طائفته بما نال لها من عطف الاحبار الاعاظم والكرادلة وكرمهم ، وبما جعله لها من المنزلة بين الامم وباعلاء شأنها بما يشرّف البشرة ويرفع مقامها . فحق على الطائفة المارونية ان تخلّد ذكره بين الذين تفتخر بهم .

ونختم هذه النبذة بايراد بعض المخطوطات القيّمة التي جمعها الحاقلاني للمكتبة الفاتيكانية ، وهي الى الآن تعرف باسمه :

العهد العتيق ، سرياني . طبعه المطران سركيس الزي .

الشرطونية المارونية ، جزءان كتبت سنة ١٥٠٧

الشرطونية والرتب اليعقوبية ليعقوب متريوليت ميافارقين ، نسخت سنة ١٥٧٢

التواقيم المستعملة عند الموارنة ، نسخت سنة ١٥٣٥

التواريخ المختلفة لاسماعيل بن ايوب ، لابن الراهب ، لغريغوريوس ابن العبري

قوانين وعظات القديس انطونيوس ، وايضاح الليتورجية لمار يوحنا مارون ، وايضاح الايمان لاهالي جبل لبنان

زجليات ابن القلاعي وعددها ٢٣

دواوين زهير ، وابن الوردي ، وابي بكر ، وابي اسماعيل ، وعبد الرحمان البرطي

غراماطيقات مختلفة عربية او سريانية .

كتب فقه اسلامية .

تاريخ مراكش .

الى غير ذلك من المخطوطات التي لما تقعها كلاعة كتبة السريان لعبد يشوع الصوباوي ؛ وكتب طبية عديدة تعرف من مطالعتها ما هي الدرجة التي بلغها الاطباء من العلم والحكمة في ما مضى من الازمنة .

هذا ما استطعنا جمعه من المعلومات عن علّامتنا الحاقلاني . وعسى ان يوفّق الغير الى اكثر من ذلك .

تنبيه — قلنا في الجزء الاول من هذه النبذة ان المحالفة التي كان يُسعى في عقدها بين البابا والامير فخر الدين وفراندوق توسكانا كان من مقتضياتها ان يولّى احد افراد عائلة بربريني على فلسطين ، وفراندوق توسكانا على قبرس ، والصحيح ان المقصود كان تولية الامير تاديو بربريني على قبرس ، وحفظ الاراضي المقدسة لفراندوق توسكانا . فاقتضى التنبيه الى ذلك .

(انتهى)

في سبيل ثقافتنا العامة : ٢

النقد الادبي

فائدته — طريقة العملية

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

نشرنا في جريدة «البشير» ، لاربع سنوات خلت ، سلسلة ابحاث في ماهية النقد الادبي ، وتاريخه عند العرب ، وتطوره حتى عصرنا . وقد سُئلنا مرارًا منذئذٍ عن طريقةٍ عملية للنقد الصحيح ، يطبقها طلاب الصفوف العالية في درس الآثار الادبية ، فتمكنهم من فهم عناصر الجمال فيها ، ومن التعبير باسلوب مقبول عن ائتلاف هذه العناصر وتساوقها لاحداث التأثير الفني الظاهر في كل أثر من روائع الفكر البشري ؛ وآخر ما شعرنا بالحاجة الى هذه الطريقة في شهري حزيران وتشرين الاول الماضيين ، اثناء تصليح مسابقات المتقدمين لامتحان البكالوريا اللبنانية ، اذ رأينا اكثر الطلاب يخبطون في نقدهم هائمين بين قواعد الصرف والنحو والبيان ، دون اهتمام بالفرق الجوهري بين نقد المعنى ونقد المبنى[1] . فرأينا ان نجمع في مقال مختصر ما نراه ضروريًا من قواعد النقد الادبي ، ونبسطه باسلوب سهل ظاهر التقسيم ، فيتمكن الطلاب من حفظه ، وتطبيق اقسامه على كل قطعة يطلب منهم نقدها . . .

وغنيّ عن البيان ان النقد الادبي من اخصب الفنون الادبية فوائد للمرتاض ، ومن اوفر التمارين العقلية نتائج للمتأدب . لانه يحصر نطاق الفكر في درس قطعة معلومة فيجدّ الذهن في البحث عن محاسنها ومساوئها ، فيتفتح الفاظها وتعابيرها ، ويحلل جملها وفقراتها ، فيشاهد الكاتب في معمله ينتقي من المعاني

---

١) راجع ما قلنا عن هذا النقص واسبابه في مشرق السنة الحالية ، ص: ٢١٣ و ٢٨١

اوفقها ومن التعابير اليقها ، ويحضر الشاعر في مختبره يختار من الصور اوفرها سطوعاً ومن العواطف ارقها تأثيراً ، ومن القوافي ابعدها صدى . ثم يسير متنقلاً من فكر الى آخر حتى الفكرة الشاملة فيعرضها على محك بصيرته وذوقه ويرتقي منها الى صاحبها ، اي المؤلف ، فيدرس عقليته ، مجتهداً في تصور زمانه ومكانه وتفهم عوامل بيئته ، وما كان لكل ذلك من التأثير الحسن او السيء ، في القطعة المذكورة . ثم يدرس الصلة بين الفكرة الشاملة والافكار الثنوية من جهة ، وبين هذه الافكار واسلوب التعبير عنها من جهة اخرى . ويعود وقد مرّن ذهنه بدرس ذهن المؤلف ، وروّض مخيلته باتباع مخيلة المصور ، ورقّق شعوره بالاحساس بشعور الشاعر ، ورقّى ذوقه بعرضه على ذوق الكاتب ، فيصبح ادق بصيرة ، من ذي قبل ، في درس الآثار الفنية ، واصوب حكماً على مولدات الفكر البشري ، واوفر احساساً بالجمال على مختلف مظاهره .

هذا ما يستفيده الناقد ، او ما ينبغي له ان يستفيده ، اذا اعمل بصيرته في القطعة المطلوب درسها ، وسار في عمله على اسلوب قويم يقوده الى لبّ النقد الادبي .

اما هذا الاسلوب فسنجتهد في تحديده ، وبسط اقسامه ، وماهية كل منها ، مرتبين كلامنا على اربعة اقسام : اولها التوطئة ، وآخرها الحكم العام :

التوطئة : ذكر المؤلف ، وتحديد مركز القطعة في تأليفه

لا يخفى انه كثيراً ما تكون القطعة المطلوب نقدها منتخبة من تأليف مشهور ، فقد تكون وصفاً لليل او للجواد او للقتال ، مأخوذاً من احدى المعلقات ، او رأياً لابن خلدون في تأثير الهواء في الاخلاق ، او درساً حكمياً للغزالي ، او ما شاكل . فينبغي للناقد ، والحالة هذه ، ان يجتهد في تبيان الصلة بين هذه القطعة المنفصلة ، وما فُصلت عنه من سائر قطع الكاتب او الشاعر في تأليفه ذاك ، مشيراً الى آرائه المهمة ونتائجه التي تجب معرفتها لفهم القطعة المذكورة . ومن ثمّ يتطرّق الى ذكر ما يعرفه عن المؤلف ، مما يفيد الموضوع الحالي ، وما وقف عليه من الظروف المكانية والزمانية التي دفعت الكاتب

الى تأليف كتابه عامّة وهذه القطعة خاصّة . اما اذا كانت القطعة منفردةً ، مستقلّةً بنفسها ، كأن تكون مثلاً خطبةً تامّة لعلي بن ابي طالب ، او مقامةً للهمذاني او الحريري ، او قصيدةً برأسها للمتنبي او لابي تمام ، او رواية كاملة للاصبهاني ، او مقالة عصرية ، او ما شاكل ، فلا حاجة الى التوقف عند ذكر الصلة بينها وبين سائر آثار الكاتب ، بل يُكتفى بذكر المؤلف ، والظروف التي قد يكون ذكرها ضرورياً جداً اذا كانت القطعة تاريخية او تمت الى حادث تاريخي ، كما نرى في رسائل علي الى معاوية ، وفي قصائد المتنبي وفي اكثرية مقالاتنا وقصائدنا العصرية . فاننا لا نفهم حق الفهم رسائل نهج البلاغة ، ولا مدائح المتنبي لسيف الدولة ، ولا مقالات ولي الدين يكن مثلاً ، ان لم نلمّ ، وان سطحياً ، بحروب علي ومعاوية ، وبمعارك سيف الدولة ، وبظلم عبد الحميد ومناهضته للاحرار .

وبيّنٌ ان الطالب بعيدٌ عن ان يدرك ، وحده ، هذه المعلومات ، فيجب على على المعلّم اذاً ، او على الفاحص ، ان يقرن القطعة المطلوب نقدها بما يلزم من الافادات عن المؤلف وذكر الحوادث الظرفية التي دفعته الى تأليفها . فيكون من واجبات الناقد ان يسبك ذلك بجملة مقبولة واسلوب مختصر ، متحاشياً التطويلات والشروح النافلة التي لا تتناسب وسائر اقسام النقد ، فيضيع وقته ووقت مطالعه ، ويخرج عن الموضوع المقصود .

القسم الاول: تحليل القطعة

نريد بالتحليل درس تكوين القطعة قسماً قسماً ، وتفكيكها جزءاً جزءاً ، مع اظهار اللحمة بين هذه الاجزاء ، وعرضها بطريقة مصغّرة تغني المطالع عن قراءة النصّ المذكور . واذاً فعلى الناقد أن لا يخلط بين التحليل والحلّ المعبّر عنه في عرف البيانيين « بان يعمد الكاتب الى ما نظمه غيره فيروّيه بالنثر » ، وان لا يخلط ايضاً بين التحليل والشرح ، وهو أن يعمد الى فكرة الكاتب فيوسّعها او يعلّق عليها . فكم من الطلاب ، اذا طلب منهم نقد قصيدة من مدائح المتنبي ، ينصرفون سريعاً الى حلّها بيتاً بيتاً فيوردون بنثرهم المضطرب الركيك ، ما اودعه الشاعر نظمه الرشيق المتين . واذا فُرض

عليهم نقد خطبة من نهج البلاغة ، يسرعون الى شرح بعض الفاظها فيذكرون ما يلفت نظرهم فيها من نكات اعرابية او نحوية ويكتفون بتعليق شيء من الشرح على بعض فقراتها ... ليس هذا من التحليل في شيء . اما التحليل الذي نقصد ، وهو العمل التمهيدي للنقد بحصر المعنى ، فيقوم بأمرين :

أ – غاية المؤلف

لكل عاقل غاية في ما يتفوّه به من الاقوال ، او في ما يأتيه من الاعمال ، فكيف بالمؤلف يذيب دماغه ويحيي لياليه في قرض مقطوعة ، او تحبير مقالة ، او تدبيج خطبة ! فاول ما يجب علينا اذاً ، هو التفتيش عن غاية المؤلف في قطعته . وقد يُقال لهذه الغاية الفكرة العامّة ، او الشاملة ، او المسيطرة ، او قصد المؤلف ... وكلها كلمات لا عبرة باختلافها الظاهر اذ ان مضمونها واحد يكون تارةً وصف حادثة ما ، او درس اخلاق ، او تصوير مظهر من مظاهر الحياة ، او ايراد حكمة ، او سرد قصّة واقعية او مخترعة ، او مدحاً او هجاء او غير ذلك من فنون الانشاء المتعدّدة التي يسير بينها المنشئون ، فيختارون ما يروقهم ، ولا اعتراض عليهم في شيء من ذلك . اذ لا يمكننا ان نلوم المؤلف لتفضيله موضوع فخر مثلاً على سرد حكاية ، او لميله الى درس بعض الاخلاق عن درس مظاهر الطبيعة . والخلاصة ان للمؤلف ملء الحرّية بانتقاء اي موضوع شاء ، على ان يظلّ ذاك الموضوع ضمن الحدود الادبية التي يقرّها الذوق الكامل المهذّب ، وتتطلبها اللياقة الانسانية الجديرة بالاعتبار والاحترام .

ب – طريقة المؤلف للوصول الى غايته

ان وجود الغاية او القصد يفرض وجود طرق واساليب يسير عليها المؤلف للوصول الى تلك الغاية ، او لبلوغ ذاك القصد . وهنا ندخل القسم الثاني من تحليل القطعة ، الا وهو تفكيك اجزائها ، واحداً بعد واحد ، الاطلاع على اللحمة بينها ، والوقوف على نوع ترتيبها بعضها الى بعض لنفهم الطريقة التي ادّت بصاحبنا الى غايته . وبكلمة اخرى علينا ان نحلّل الافكار الثنوية في القطعة لنرى تساوقها كلها الى تحقيق الفكرة العامّة ، وهو ما يسمّى بدرس

التقسيم ، او باعادة رسم القطعة المحللة . مثلاً لو فرضنا قصيدة ينظمها المتنبي في سيف الدولة ، « لكل امرئ من دهره ما تعوّدا ! » مثلاً ، فتكون غايته فيها او فكرته العامة المدح . اما ما يورده من مفاخر سيف الدولة كتعوّده الغلبة ، وذكائه ، وترفعه عن الملوك ، وبطشه بالروم ، ودلالاته على الخليفة ، وحكمته ، وكرم سجاياه وأريحيته الخ . . . فيكون من الافكار الثنوية التي يجب علينا تعدادها والاشارة اليها في القصيدة واحداً بعد واحد ، ثم ترتيبها على النسق الذي اوردها به الشاعر . علينا ان نقوم بذلك على طريقة وضعية بحتة ، اي خالية من كل عبارة قد يظهر منها الذم او المدح . لان واجب الناقد الاول ان يبسط غاية المؤلف الذي ينتقده ، ويحلل اقسام مؤلفه ، على اسلوب خارجي محض وافر البرودة ، كثير الدقّة الوضعية ، يترفع عن العاطفة والميل . حتى اذا فرغ منه تناوله بالنقد ، وهو القسم الثاني من بحثنا .

القسم الثاني : النقد

اما النقد فيدور على شيئين ايضاً : نقد المعنى ، ونقد المبنى .

١ – نقد المعنى

تقدّم أن نقد الفكرة العامة ، او غاية المؤلف ، لا يتيسر عادةً ؛ وعليه يجب الانصراف الى نقد التقسيم . ويكون بالنظر في تلك الاجزاء التي عرضناها سابقاً بطريقة وضعية ، فنأخذها الآن فكرًا فكرًا ، ونحكم على كل واحد منها : اوّلاً بحدّ نفسه ، ثمّ بالنظر الى مركزه من التأليف . ولا بدّ هنا من ايراد مثل يوضح هذه القواعد النظرية . فلنرجع الى قصيدة المتنبي ، ولنسأل نفسنا إزاء كل معنى : هل هذا حسن ام لا ؟ وهل هو موافق ؟ مثلاً : هل وصف سيف الدولة بالبطش حسن في حد نفسه ؟ فان كان الجواب نعم ، انتقلنا الى السؤال الثاني وهو : هل وصف سيف الدولة بالبطش موافق لغاية الشاعر في هذه القصيدة ؟ فان كان نعم ، ثنينا بسؤال جديد فقلنا : وكيف ذلك ؟ ثم انتقلنا الى المعنى الثاني ، وهكذا الى ختام القصيدة . ولكن لا يتوهمنّ الناقد ان من واجبه تعداد الاسئلة ، او سبكها كلها بقالب واحد ، او الوقوف بها عند كل معاني القطعة ! لا فان كثيراً من القطع لا

يحتمل مثل هذا التدقيق في البحث ، وان كثيراً من المعاني لا تستحق هـذا الاهتمام . فعلى الناقد ان يعتمد على بصيرته وحسن ذوقه . امـا اذا كان الجواب عن السؤال الاول او الثاني سلبيًّا ، فيلزمنا القول : لماذا ؟ وما هو المعنى الاحسن ؟ او مـا هو الاوفق ؟ وكيف كان يجب على الشاعر ان يسير حتى يصل الى غايته على اهون طريق ؟

ولا يخفى ان للثقافة الادبية الحقّة ، وللعادة النقدية الصحيحـة ، وللذوق السليم المهذَّب الدور الاول في تحقيق هذا النقد ، وافراز المعـاني الموافقة من غيرها ، وترتيبها كلها وفقاً لمنفعتها واهميتها بالنسبة الى الغاية المتوخّاة ، ولاسيما ان كانت القطعة متعدّدة الافكار ، متباينة الاقسام ، متشعّبة المقاصد الثنوية ، كما نرى في اكثر قصائدنا القديمة .

٢ – نقد المبنى

ولا يتصوّرنَّ الناقد انه اذا انتهى من هذا العمل ، فقد اتمَّ مهمّته ونال الفائدة الناتجة من النقد الادبي ! لقد قام بشيء مهم ، ولكنه لم يقم بكل شيء . نقد المعنى ، فبقي عليه نقد المبنى . وما المبنى الّا الطريقة الخاصّة بكل مؤلّف ، يلجأ اليها اذا مـا اراد ان يوصل ما يجول في خاطره ، وما يختلج في فؤاده ، وما يتمثّل امام مخيّلته ، الى قرّائه . ما المبنى الّا الانشاء اللاصق بشخصية الكاتب الى درجة دفعت بوفون الى القول : « ان الانشاء هو الرجل نفسه ! » ما المبنى الّا الاسلوب المندمج في روح الاديب الى حـدّ جعل فاگيـه يقول : « انمـا يخلد الانسان باسلوبه ! » بهذا المعنى الواسع نفهم المبنى ، ونرى من الضروري ان يتبسط الطالب في نقده . واوّل ما يجب عليـه ان يقف على الصفة العامّة لهذا المبنى ، سواء كان اسلوباً نثرياً بما يجرّه من توازن بين الفقرات وتوفّق في اختيـار المفردات ، او شعرياً بما يقوم بـه من وزن ، وروي ، وصناعة . ثم عليه ان يلاحظ العلاقـة بين الاسلوب الانشائي المستعمل ونوعيّة الغاية وما يقود اليها من الافكار الثنوية ، فيسأل : هل يوافق هذا الاسلوب الفسيح او الهادئ ، او المقتضب ، او العصبي او . . . للتعبير عن المعاني الغضبية ، او الحكمية ، او العاطفيـة السـاكنة او . . . ثم ان كان كل ذلك موافقاً ،

هل احسن الكاتب باستعمال اسلوبه ؟ وكيف ذلك ؟ وان لم يحسن ، اي اسلوب كان عليه ان يستعمل ؟ ولماذا ؟

وبعد هذه الملاحظات العامّة ، ينحدر الناقد الى جمل المؤلف ، فيتتبع ابتكاراته ، وتعابيره الشخصية . وهنا المجال افسح من مجال المعنى ، اذ لا يخفى انه من الاسهل بما لا يُقاس على الكاتب ، ان يكون مبتكراً في تعابيره ، من ان يكون مبتكراً في معانيه ، لان « الشعراء لم يغادروا متردّماً » . بهذه التعابير الفرديّة تبدو مظاهر شخصية الكاتب الادبية ، فعلى الناقد ان يتتبعها حتى يؤلف منها صورة لتلك الشخصية ، وليجتهد في ان تكون تامّة . ثم ينحدر ايضاً الى نقد الكلمات ، فيرى فيها كما رأى في التعابير ، حسنها الذاتي ، وموافقتها للمعاني . ويجب عليه في هذا القسم ان يقوم بما يلزم من الشروح اللغوية لاسيما في ما خصّ الكلمات الوضعية ، او الدقيقة ، او التي استعملها المؤلف عن قصد خاصّ ، فيفتحها الواحدة بعد الاخرى ، ويستخرج مضمونها فيعرضه على الفكرة التي شاء المؤلف الباسها تلك الكلمة . ومن الضروري هنا ان يستعمل القاموس ، لان في مؤالفة كتب اللغة من النفع ما لا يكاد يتصوّره اكثر اساتذتنا ، وما لا تهتمّ به ، لسوء الحظّ ، جمهرة طلّابنا . فينتج من كل ذلك ان الاساتذة يتعوّدون شرح الكلمات بترادفاتها — والترادف الحقيقي في اللغة قليل وقليل جدًّا ، ان لم نقل غير موجود ! — فينسون الفروق الدقيقة بين كلمتين تشتركان بالمعنى العامّ ولكنهما تتباينان بما تجرّه كل منهما من الجوّ الخاصّ بالمعاني الثنوية ، فتقلقل المعاني ، اذ ذاك في ادمغة التلاميذ ، فيلجأون الى التقريب ، في فهم النصّ الادبي ، وخصوصاً في شرحه .

وفي هذا القسم ايضاً ، مجالٌ للاشارة الى ما يستحقّ الذكر من الملاحظات النحوية ؛ ولا نريد بها اعراب الكلمات ، كما قد يتوهّم البعض . فالاعراب ليس من النقد الادبي في شيء ، وان بدا لازماً احياناً لفهم تركيب دقيق او لتحديد موقع لفظة ما . وعلى الناقد ان يأخذ منه بمقدار ، وان يتنبه خصوصاً لما يهمّ الوقوف عنده من التراكيب الخاصّة او التعابير التي قد لا توافق مشهور المألوف

عند النحاة ، كأن يسمع مثلاً ، في نقده قطعة من روايات الاغاني ، احد اشخاص ابي الفرج يقول مستفهماً : « وانا اصنع ماذا ؟ » فيشير الى استعمال اداة الاستفهام بعد الفعل ، فيدلّ على معرفته القواعد من جهة ، وتيقّظه لكل بادرة تستحق الذكر من جهة اخرى.

وعلى الجملة نرى ان واجب الناقد ، في ما خصّ القواعد، لغويةً كانت او نحوية ، يقوم بان يستعملها ، لا لاضجار المطالع باعراب مفردات القطعة او بشرح الفاظها لفظة لفظة ، بل للاشارة الى ما لعلّه يفيد الغاية العامّة من النقد بأن يوفر له ابداء بعض الملاحظات المهمة.

الختام : الحكم العامّ

جرينا في نقدنا ، حتى الآن ، على اسلوب تحليلي محض بادئين بالمركّب فالبسيط فالابسط ، منحدرين من الغاية العامّة الى الافكار الثنوية ، ومن الاسلوب الاجمالي ، الى التعابير ، فالى الالفاظ . وهو افضل اسلوب للوقوف على مركبات القطعة الفنية واحداً واحداً ، ولمس اللحمة الظاهرة او الخفيّة التي تجمع شتاتها وتجعل منها وحدةً ادبية . وقد آن لنا ان ننتقل الى استعمال الاسلوب الجمعي ، فنلقي الحكم على هذه الوحدة ، بعد أن القيناه على اجزائها. ويكون ذلك بتلخيص ما تقدّم من الملاحظات ، وباختصار حكم نهائي عام نحدّد به القطعة المفروضة ، ذاكرين ما تقتضيه من التعليق من حيث الادب والفنّ او الاخلاق او التاريخ ، متجنبين ، في هذا ايضاً ، ما تجنبناه سابقاً من الاندفاع العاطفي مع المؤلّف او عليه ، ومن الملاحظات العامّة ، وطرق التعجب المبتذلة التي تفيد كل شيء ولا تفيد شيئاً . ثم نرتقي مجالاً اعلى نلقي منه نظرة اعمّ واشمل تتناول شخصية المؤلف ، صاحب القطعة ، بجمعها اذا امكن ، فنصفها بحكم مختصر ايضاً ، ونبيّن موافقة القطعة المفروضة لما نعرفه من اسلوبه الانشائي وطريقته الفنية.

هذا ما رأينا بسطه من قواعد النقد الادبي ، فعسى ان يكون فيه ما يدفع متأدّبينا الكرام الى التبصر في ما يقرأونه من النصوص الادبية ، ليتفهموا ما فيه من جمال ، ويقتربوا منه في آثارهم.

«انت الصفاة»

لمة

في رئاسة القديس بطرس وخلفائه الحبر الروماني

سُئلنا : ما الرأي ، من الوجهة الكتابية والتاريخية ، في القول الآتي :
« بطرس احد الزعماء وليس الرئيس . والكنيسة المقدسة احترمت بابا رومة كزعيم ذي شأن وليس كرئيس مُطاع ؟ »
فنُجيب :

١

الزعم الاول

« بطرس احد الزعماء وليس الرئيس »

المفهوم من هذا الزعم ان المسيح الربّ ، لاسمه المجد ، لم يُنشئ كنيسة منظورة واحدة ، بل كنائس متعدّدة اي فئات شتى ، لا يحكم في امرها رئيس سامٍ فرد ، بل لكل منها « زعيم » مستقل تماماً عن غيره . وانما بطرس واحد منهم ليس الّا .

وهذا ما تنقضه تماماً اقوال الربّ عينه في الانجيل الطاهر . فاذ ابتدأ يكرز عزّ وجلّ ، كان يقول (متى ٤ : ١٧) : « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » بالمفرد . ولم نسمعه قطّ يثني او يجمع ملكوته الذي هو كنيسته وقال ايضاً : على الصفاة سأبني « كنيستي » (متى ١٦ : ١٨) لا كنيستَيّ ولا كنائسي . بل صرّح جليّاً ان رعيّته ينبغي ليس ان تكون « واحدةً » فحسب ، بل « لراعٍ واحد » (يو ١٠ : ١٦).

وهذا ما فهمه الرسل كما يُستدلّ من مواضع عديدة[1] وعلّموه المؤمنين

---

١) راجع اعم ٩ : ٣١-٣٢ ؛ ١٥ : ١٦ ؛ ٢٠ : ٢٨ ؛ ١ كور ١٠ : ١٧ ؛ ١٢ : ١٣ الخ.

الاولين . جاء في تعليم الرسل[1] « اذكر يا ربّ كنيستك . . . واجمعها من اربع اقطار المسكونة مقدّسةً لملكوتك » وقال القديس يوستينوس[2] : « ان الذين يؤمنون بالمسيح هم نفس واحدة ومجمع واحد وكنيسة واحدة . » وما اصرح قول القديس كبريانوس[3] : « واحدٌ هو الله وواحدٌ هو المسيح وواحدةٌ هي الكنيسة وواحدٌ هو الكرسي المؤسس بصوت الربّ على الصخرة . »

ولا تتوهمنّ ان رابطة الوحدة هذه انما هي روحية محضة . فهي منظورة ظاهرة كما انّ الحظيرة هي منظورة ظاهرة . فالوحدة التي توخّاها المسيح هي :

١ً : وحدة الاعتراف بايمان واحد . فقد قال (متى ٢٨ : ١٨) للرسل : « تلمذوا كلّ الامم . . . . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به » وايضاً (مر ١٦ : ١٥—١٦) : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . فمن آمن واعتمد يخلص ومَن لم يؤمن يُدان . » وتلك كانت عقيدة الرسل[4] والآباء منذ اوائل النصرانية ، منهم يوستينوس المذكور آنفاً وهيجيزيبوس[5] وهو يستمي هراطقةً « الذين انفردوا بزعامهم الخصوصية . . . لأنهم اذ استنبطوا تعليماً مشوهاً . . . فسخوا وحدة الكنيسة » وقال القديس ايراناوس[6] في القرن الثاني للمسيح : « كما ان الشمس هي واحدةٌ في العالم اجمع لا تتغير ، كذلك يسطع التبشير بالحقيقة في كل الانحاء ويُنير كلَّ بني البشر ، الذين يرغبون ان يأتوا الى معرفة الحقيقة . . . لان الكنيسة الجامعة لها في المعمور كله ايمانٌ واحدٌ لا يتغير . »

٢ً : وحدة الشركة . وقوامها بان يكون كل اعضاء الكنيسة ، افراداً وفئاتٍ ، مرتبطين معاً ، على شكل جسم ادبيّ واحد ، وعائلةٍ واحدة ، وجامعة واحدة . فهم مشتركون بذبيحة واسرار وصلوات واحدة .

---

١) *Didachè* 10 : 5

٢) *Dial. c. Tryph.* 63

٣) *Ep. ad plebem*, 5

٤) راجع غلا ١ : ٨ — ١ كور ١ : ١٠ — افس ٤ : ٥ الخ .

٥) ذكره اسابيوس في تاريخه الكنسي ٤ : ٢٢ .

٦) *Adv. Hær.* I, 10 : 23

هذا ما يُفهَم من الاستعارات التي عبَّر بها الرب والرسل عن كنه الكنيسة. فهي في عرفهم صرحٌ ذو اساس واحد ، وملكوت تُسلَّم مفاتيحه الى امين واحد[1] ورعيَّة لراعٍ واحد[2] وجسم مجهَّزٌ منظَّم واحد[3].

وهل من مجال للشك في ان الوحدة المنشودة هي التي قصدها الرب في صلاته بعد العشاء حيث هتف قائلًا (يو ١٧):

«ايها الآب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن واحد . . . ليكونوا باجمعهم واحدًا كما انك انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ، ليكونوا هم ايضًا واحدًا فينا . . . . ليكونوا واحدًا كما نحن واحد ، انا فيهم وانت فيَّ ، ليكونوا مكملين في الوحدة . »

٣ : وحدة السلطة والرئاسة . وقوامها بخضوع كل المنتمين الى كنيسة المسيح لسلطة منظورة واحدة . وانما متقلدو هذه السلطة هم الاساقفة المتحدون بالسدّة البطرسية ، الخاضعون لها.

فلا لعمري ليس بطرس «احد الزعماء» بل هو الرئيس الاعلى ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة . عليهم ، هم ومرؤوسهم ، ان يتقيدوا بتعليمه وباوامره في كل ما يتعلق بالعقيدة والاداب والتهذيبات . ومن منهم انفصل عنه فقد انفصل عن الكنيسة الحقيقية.

واليك النصّ الذي به حدّد المجمع المسكوني الفاتيكاني هذه العقيدة[4]. قال :

«ان قال احدٌ ان الطوباويّ بطرس الرسول لم يُقم من المسيح الرب رئيسًا على كل الرسل ورأسًا منظورًا لكل الكنيسة المجاهدة ، او انه اخذ من ربنا يسوع المسيح اولية الشرف فقط ، وليس اولية الولاية الحقيقية الصحيحة ، فليكن محرومًا . »

وفي الانجيل الطاهر نصوص صريحة جليّة ، تؤيد التحديد المذكور ، ممّا لا يترك ادنى مجال للشكّ ، اللهمّ فيمن سلمت اذهانهم من الاوهام. واليك شيء من هذه النصوص:

١ – كان المسيح قد سأل الرسل:

---

١) راجع مت ١٦ : ١٨–١٩ .
٢) راجع يو ١٠ : ١٦ ٣) راجع روم ١٢ : ٤–٥ ؛ ١ كور ١٠ : ١٧ الخ.
٤) الجلسة ٤ والرأس الاول – راجع ايضًا الرأس الثالث.

«وانتم من تقولون اني هو . فاجاب سمعان بطرس قائلا انت المسيح ابن الله الحي . فاجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السماوات . وانا اقول لك انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات وكل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات . » (مت ١٦ : ١٥ - ١٩) .

وانك ترى جلياً ان المخاطب في النص المذكور هو شخص مفرد اسمه سمعان واسم ابيه يونا . فله وحده إذن ، وله رأساً ، يعد الرب يسوع ما يعد . والموعود به انما هو لا محالة سلطة الولاية على كل الكنيسة التي عزم الرب على انشائها فقد قال :

١ — « انت الصفاة ، اي الصخرة ، وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها» ولا شك ان لفظة «كنيستي» ، بدون ما اضافة شرط ولا قيد ، تدل على كل كنيسة المسيح . وقد لقب ، عز وجل ، سمعان «بالصفاة» دلالة على انه يكون الصخرة التي ستُبنى عليها الكنيسة . والمعنى ان سمعان يخوّل كنيسة المسيح كلما يخوّل البيتَ اساسه الصخري ، بان يجعل كل اجزائه مترابطة متلاحمة ، فيسي متيناً لا تزعزعه عوامل الخراب .

وكون معنى الاستعارة التي استعملها الرب هو على ما شرحنا ، فيستفاد بنوع ظاهر من قول سابق له ، عز وجل . فقد قال في ختام عظته على الجبل (مت ٧ : ٢٤ — ٢٥) :

«كل من يسمع كلامي هذا ويعمل به يُشبه رجلا حكيماً بنى بيته على الصخر . فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح واندفعت على ذلك البيت فلم يسقط لان اساسه كان على الصخر . »

فلبطرس اذاً ان يجعل كنيسة المسيح واحدةً متينة لا تزعزعها قوات اعدائها ، التي تدلّ عليها «قوات الجحيم» سواء عُني بهذه العبارة الموت او القوات الشيطانية ، وهو الرأي الاشيع . ففي الرأي الاول يُفهم من قول يسوع ان الكنيسة لن تموت ، لن تتلاشى ، لانها مؤسسة على سمعان . وان كان الثاني فالمؤدى انها ، بفضل الاساس عينه ، لن تتزعزع ، مهما صادمها الشيطان او اعوانه من ابالسة وبشر .

ب «ساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» اوليس انّ من سلّم اليه سيده مفاتيح بيتٍ او مدينة ، كيما يفتح ويغلق على ما يرى ولمن يرى ، فقد سلّطه عليهما سلطة تامة مطلقة. فيكون الرب ، اذ وعد سمعان بمفاتيح ملكوت السماوات ، اي كنيسته على الارض ، قد وعده بسلطة تامة سامية على الكنيسة.

ج — وكي لا يخشى هذه الحقيقة ادنى ريب ، شاء الرب ، جلّت مراحمه ، ان يُفسّر لنا بذاته معنى لفظة المفاتيح. فقد قال فيما يليها : «كلّ ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات. وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات .» والمراد انه لما كان بطرس عتيداً ان يتقلد السلطة السامية التامة على الكنيسة ، من اجل هذا اضحى كأن الله يتكلم بفمه . فهو تعالى يُقرّ في السماء كل ما يقرّره بطرس على الارض . فالله يربط ما ربط ويحلّ ما حلّ. وهل من حاجة الى البيان ان الرباط المقصود هنا ، انما هو الرباط الادبي ، الذي يُعبّر عنه بالالزام. افلا يكون اذ ذاك معنى كلام الرب ان قرارات بطرس تتقيد بها ضمائر ابناء الكنيسة كلهم . فان فرض عقيدة او عملاً فعليهم ان يؤمنوا ويخضعوا ، وان نهى فعليهم ان يمتنعوا ، والّا فقد اساؤوا الى الله الدّيان بعينه.

٢ — وقد انجز المخلص وعده لبطرس بعد قيامته على ما ذكر الرسول يوحنا في انجيله حيث نقرأ (٢١ : ١٥ — ١٧) :

«قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبني اكثر من هؤلاء. قال له نعم يارب انت تعلم اني احبك. قال له ارعَ خرافي. قال له ثانية يا سمعان بن يونا اتحبني . قال له نعم يا ربّ انت تعلم اني أحبك. قال له ارعَ خرافي. قال له ثالثةً أتحبني فقال له يا رب انت تعلم كل شيء وانت تعلم اني احبك. فقال له ارعَ غنمي.»

فظاهرٌ من هذا النصّ ان كلام الرب موجّه الى بطرس واليه وحده . فانه يدعوه باسمه واسم ابيه ، بل يميّزه صريحاً عن زملائه قائلاً : اتحبني اكثر من هؤلاء. وظاهرٌ ان يسوع يخوله السلطة السامية على كل الكنيسة . وظاهرٌ ان الخراف والغنم تدلُّ على الكنيسة بكل افرادها بدون استثناء ، وقد سبق للرب ان دعاها حظيرته (يو ١٠ : ١١ — ١٦) وسيأتي ان يُعنى بالخراف المرؤسين وبالغنم الاساقفة ، على ما فهم اكثر المفسرين ، او ان يُقصد باللفظتين كل

جمهور المؤمنين . فهل يمكن ، حتى في المعنى الثاني ، ان نستثني الاساقفة من رعاية بطرس ، ما لم ننكر انهم من حظيرة المسيح ، معاذ الله ! وهل من حاجة الى الاسهاب في تفسير لفظة «إرعَ» ؟ وحيث يكون مفعولها خرافاً عاقلة ناطقة ، كما هو الواقع هنا ، افلا يكون مدلولها سلطة التدبير والحكم ؛ أم ليس هذا ما قصده بعض الملوك من الاقدمين اذ لقبوا انفسهم رعاةً ؟

٣ — ومما يؤيد الحقيقة التي نحن بصددها ظروف جزئية ، يعثر عليها مَن يتصفح اسفار العهد الجديد ، وقد يخالها لاول وهلة طفيفة لا طائل تحتها ، الّا انه لا يلبث ان يُنعم النظر فيها ، إذ يراها تتكرّر مراراً عديدة . فيحاول تعليلها فلا يجدُ لوقوعها تفسيراً سوى السلطة السامية المطلقة التامة المخوّلة من الرب لبطرس من ذلك :

ا — انَّ اسم «الصفاة» هوَ من وضع الرب عينه ، وذلك قبل ان يعد رسوله بالرئاسة السامية . فقد ذكر القديس يوحنا (يو ١ : ٤٠ — ٤٢) انه لما جاء اندراوس باخيه سمعان الى يسوع «نظر اليه يسوع وقال : أنت سمعان بن يونا أنت تُدعى كيفا الذي تفسيره الصفاة .» وقال انجيليٌّ آخر (مر ٣ : ١٦) : «وجعل لسمعان اسم بطرس» ومعلوم ان الاسماء التي من وضع الله لا بد ان تأتي مطابقة لمن تُطلق عليهم . واماً ما اراد المخلص ان يعبّر عنه بتسميته سمعان بطرس ، اي الصفاة والصخرة ، فظاهرٌ فيما ورد في الفصل الـ ١٦ من انجيل متى على ما مرّ بك .

ب — ومثل هذا المنزلة الرفيعة التي لبطرس دون سواه في الاسفار المقدسة . فانّا نرى يسوع يعلّم من سفينته ، واليه وحده ، بعد الصيد العجيب ، يوجّه القول (لو ٥ : ١٠) : «لا تخف فانك من الآن تكون صائداً للناس» . وهو اول من غسل يسوع وجليه (يو ١٣ : ٦) واول من يجب من الحواريين ان يُبلَّغ خبر القيامة السيدية (مر ١٦ : ٧) بل اول من منهم يظهر له الرب بعد خروجه من القبر حيا (لو ٢٤ : ٣٤ — ١ كور ١٥ : ٥) .

ج — ومن ذلك ايضاً المحلّ الاوّل الذي خُصّ به بطرس في الكتب المذكورة : كان اندراوس قد تبع المسيح قبل اخيه . ومع هذا نرى ان

« انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها »
(متى ١٦ : ١٨)

خليفة القديس بطرس

قداسة الحبر الاعظم

يوس الحادي عشر

المالك ـ ميدًا

المكان الاول في كل قوائم الرسل محفوظ لبطرس[1] بل قد لاحظوا ان متى[2] يقول صريحاً في قائمته : « الاول سمعان المدعو بطرس » ويكتفي بان يسرد اسماء الباقين من الحواريين بدون ما يرتبهم بان يقول مثلاً: « والثاني اندراوس والثالث يوحنا . . . »

د — وللسبب عينه وكل الرب الى بطرس ان يثبت باقي الرسل . فقد ذكر القديس لوقا (٢٢ : ٣١-٣٢) ما نصه : « قال الرب : سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة . لكني صليت لاجلك لئلا ينقص ايمانك وانت متى رجعت فثبت اخوتك » فكيف يثبت الآخرين من ليس له عليهم سلطة ؟

ه — وهي سلطة بطرس السامية التي مكنته من الاعمال التي اتاها بعد الصعود . فهو الذي يتصدر انتخاب متيا وهو اول من يبشر بالانجيل يوم العنصرة واول من يؤيده بمعجزة[3] . الى غير ذلك مما تعلله سلطة بطرس تعليلا يرتاح اليه العقل[4] ومما اذا نظرنا اليه ، ليس بكل مفرداته على حدة ، ولكن بها مجموعة ، يدل ولا شك ان لبطرس على زملائه مزية لا معنى لها ، ما لم يكن معترفاً له بسلطة حقيقية سامية عليهم جميعاً .

وهذا ما فهمه الآباء ، منذ اوائل الكنيسة ، على ما يتضح من كتاباتهم العديدة[5] ، يطول بنا سردها في هذه العجالة . بل يكفينا ان نذكر في جزءها الثاني ما قالوا وأتوا دلالة على اعتقادهم بسلطة خلفاء بطرس .

٢

الزعم الثاني

« والكنيسة المقدسة اعترفت بابا روما كزعيم زمني شامل وليس كرئيس مطلق . »

هذا ما يكذبه التاريخ تماماً . واليك الادلة :

١) راجع مت ١٠ : ٢-٤ ومر ٣ : ١٦-١٩ ولو ٦ : ١٤-١٦ واعم ١ : ١٣ .
٢) في المحل المذكور . ٣) راجع اعم ١ : ١٥ ؛ ٢ : ١٤ . . . ؛ ٣ : ٦ .
٤) راجع اعم ٢ : ٣-٨ ؛ ١٥ : ٦ . . . ؛ ٩ : ٢١-٢٢ ؛ غلا ١ : ١٨
٥) راجع Tertullianus, *de Præscript.* 22 ; — *Origenes, In Ep. ad Rom. c. VI, l. V, circa finem* ; — Cyprianus, *de Unitate Eccl.*, 4, etc....

١ : في اواخر القرن الاول للمسيح ، اذ كان بعدُ يوحنا الرسول في قيد الحياة ، كتبَ اسقف رومة ، القديس اكليمنضوس ، الى كنيسة كورنتس التي كان قد اسسها بولس الرسول عينه ، رسالةً ضافيةً ، لا معنى لها لولا اعتقاده بما له على الكنيسة المذكورة من السلطة الحقيقية الحليقة ان تطاع . واليك بعض ما جاء في الاثر المذكور :

«عارٌ وعارٌ للغاية ان يُسمَع ، وغير خليق بالطريقة المسيحية ما قد تحققناه . الا وهو ان كنيسة اكورنتيين المتينة والعريقة في القدم تثور على كهنتها بسبب انسان واحد او اثنين . . . فيا ايها الذين اقتم اسس الفتنة كونوا بالطاعة خاضعين للكهنة وتقبلوا التأديب للتوبة . . . وليمّ يخضعوا لما يقوله المسيح بلساننا فليدعوا انفسهم يورّطون بانفسهم الى اساءة وخطر ليسا بطفيفين . واما نحن فنكون قد برّرنا ذاتنا من هذه الخطيئة . . . وقد ارسلنا رجالا امناء يكونون شاهدين بينكم وبيننا . » (١) .

فهل تختلف لهجة اكليمنضوس عن لهجة باباواتنا ، ام سلطته عن سلطتهم ؟

وما احسن ما وصف به القديس ايراناوس (٢) هذه الرسالة حيث قال : « انها قويّة للغاية » (ἱκανωτάτη) . ومع ذلك فقد تقبلها الكورنتيون بكل اكرام بل جرت العادة طويلةً من بعد ان تُتلى في مجتمعات المؤمنين ليس بكورنتس فحسب بل في غيرها من المدن .

واكليمنضوس هذا تلميذ الرسل ومثله القديس پوليكربوس اسقف ازمير الذي نراه يقصد رومة ، بالرغم من كبر سنه ومشقات السفر البعيد ، كيما يسأل البابا انيكيتوس حلًا للمسألة الفصحية .

٢ : ومن تلاميذ پوليكربوس في القرن الثاني القديس ايراناوس الذي أُسقف على مدينة ليون . فتكون شهادته ناطقة باتان وتقاليد الكنائس الاولى في فرنسة وايضاً في الشرق الذي نشأ فيه . وقد عُني هو ايضاً لدى الحبر الروماني بالمسألة الفصحية فكتب الى البابا ڤيكتور رسالة (٣) يرجو منه بها ان لا يحرم الكنائس الاسيوية العديدة ، لداعي تمسكها وتشبثها بالتاريخ الفصحي ، الذي كان قد عيّنهُ الرسل انفسهم ، على سبيل تهذيب كنسي محض . وما كان

(١) *Ep. I Clem. ad Cor.* ٤٧ : ٦ ; ٥٧ : ١ ; ٥٩ : ١ ; ٦٣ : ٤.

(٢) *Adv. Haer. III.* ٣ : ٣.

(٣) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس ٢٤ : ٥

اسهل على ايراناوس ان ينال مرامه لو كان لا يعتقد اعتقادنا بسلطة البابا المطلقة. فكان يمكنه اذ ذاك ان يقول له : «انت زعيم ذو شأن لا رئيس مطاع» والكنائس الاسيوية مستقلة عنك فليس لك ان تغيّر تهذيباتها ولاسيما تلك التي انشأها فيها الرسل . على ان ايراناوس لم يستند الى مثل هذه البراهين لانه كان يعتقد بل. السلطة في الكنيسة للحبر الروماني . فاقتصر في رسالته المذكورة على الالحاح لدى البابا ڤيكتور ان يعامل الكنائس الاسيوية في هذه القضية التهذيبية بحلم وتساهل ، اسوةً بسلفائه الستة من عهد البابا كسيستوس.

وقد صنّف ايراناوس سفرًا جليلًا ضدّ البدع الكاذبة . ومما يبسط فيه طريقتان للحصول على معرفة الحقيقة :

«احداهما استطلاع الكنائس ، التي تتصل اساقفتها بالرسل بتسلسل متواصل . فالامر الذي تتفق عليه هذه الكنائس يكون الحقيقة بعينها . واما الطريقة الاخرى ، وهي اعجل واسهل ، فانما تقوم بالتنقيب عن تقليد الكنيسة العظمى ، العريقة في القدم ، المعروفة لدى الجميع ، وهي التي انشأها واقامها في روما الرسولان المجيدان بطرس وبولس.»(١

والسبب في كون رأي الكنيسة الرومانية هو ، بمعزل عن سواه ، كافٍ وافٍ ، يوضحه ايراناوس بقوله :

«فان هذه الكنيسة (الرومانية) ، لما من الاولية الفذيرة ، يجب ان تقصدها كل كنيسة ، اي المؤمنون من كل صقع ، اذ لا يزال دوماً محفوظاً فيها ، من الذين هم من كل صقع ، التقليد الذي هو من الرسل» (٢

والمعنى الظاهر انّ الكنيسة الرومانية لها على سواها ميزة خاصة ، مما لا بد لاجلها ان تؤمن باقي الكنائس ايمانها وتعتقد اعتقادها.

وللقديس اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية ، في القرن الثاني ، اقوال تشهد بتعلقه بالسدّة البطرسية وخضوعه للجالس عليها . وذلك خصوصاً في رسالته الشهيرة الى الرومانيين.

٣ : ومثله في القرن الثالث ترتليانوس ، قبل ان يكون قبل انشقاقه ، وكيبريانوس وديونيسيوس الاسكندري.

---

١) *Adv. Haer. III*, 3 : 2.

٢) في المحل المذكور

٤ : وكان الاوسابيون في القرن الرابع عزلوا القديس اثناسيوس الاسكندري عن كرسيه. فرفع هذا ، كما والاوسابيون انفسهم ، الامر الى البابا يوليوس الاول . فصرّح الحبر الروماني بوجوب اعادة اثناسيوس الى كرسيه وانكر على الاساقفة الاوسابيين اقدامهم ، عن غير ترخيص منه ، على خلع الاساقفة ولاسيما الاسقف الاسكندري ، من مناصبهم . قال : «هل تجهلون ان العادة هي ان يُكتَبَ اولًا الينا ومن هنا يصدر القرار بما هو عادلٌ»[1]

وذكر سوقراط[2] ، لذلك العهد عينه ، «أن بولس اسقف القسطنطينية واسكليباس اسقف غزّه ومرشلوس اسقف انقره ولوسيوس اسقف ادريانوپوليس طُردوا من كنائسهم لاسباب مختلفة. فاتوا الى رومة حيث عرضوا قضاياهم ليوليوس الاسقف الروماني . وان هذا ، نظرًا الى ما للكنيسة الرومانية من الميزات ، ارجعهم الى الشرق مشفوعين برسائل منه ، واعادَ كلًا منهم الى كرسيه . وفي الوقت ذاته وبّخ الذين كانوا قد اقدموا على عزلهم.»

٥ : وكذا يوحنا فم الذهب ايضاً ، في القرن الخامس. فانه لما تعدّى عليه ثيوفيلوس واشياعه وعقدوا مجمعاً فيه حطّوه من كرسيّ القسطنطينية ، كتب رسالته المشهورة[3] الى البابا اينوشنسيوس الاول يستنجده على ظالميه . قال : «التمس اليك ان تكتب ان الامور هذه ، التي انما وقعت ظلماً ... ، لا قوة لها ... وان تُنزل في الذين اتوها عقابات الشرائع الكنسية.»

ولئن فيما جرى بمجمع افسس المسكوني ، عام ٤٣١ ، برهانٌ تاريخي ساطع على اعتقاد الكنيسة المقدّسة بسلطة الحبر الروماني الفعلية الخليقة ان تُطاع . كان البابا شلستينوس ، قبل انعقاد المجمع ، اي في العام ٤٣٠ ، اصدر حكمه على نسطوريوس . ثمّ عيّن القديس كيرلس الاسكندري وكيلًا عنه كيما يتصدّر المجمع بالنيابة عنه . وامر قصّاده ان يراعوا كرامة الكرسي الرسولي بان لا يتدخلوا بالمجادلات بل يحكمون في اراء غيرهم . وكتب الى المجمع

(١) S' Athan. *Apol. c. Arian.* 20, 35

(٢) في تاريخه الكنسي ٢ : ١٥ .

(٣) *Ep. I ad Innocent, I.*

انهُ مرسلٌ قصّادًا « كيما يحضروا ما يجري فيه وينفّذوا ما كان هو قد قرّره من قبل .»[1] وان سألت باي حقّ يتصرّف هكذا شلستينوس بالمجمع ، ولا معارض ، اجابك الكاهن فليس ، وكان احد قصّاد البابا اذ ذاك ، بما بسطه للسينودس قائلًا :

«لا يشكُّ احدٌ ، بل هو امرٌ معروفٌ لدى كل الاجيال ، ان القديس بطرس الكلي النبطة ، امير الرسل ورأسهم ، اخذ من ربنا يسوع المسيح مفاتيح الملكوت . وهو الى زمننا هذا والى الدوام حيٌّ في خلفائه ، وبهم يزاول القضاء . وعليه فالذي خلفه بحسب الترتيب وهو قائم مقامه ، القديس الكلي النبطة ، بابانا شلستينوس الاسقف ، ارسلنا الى هذا المجمع لننوب مناب .» (٢)

ثم عُقد المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ . وفيه اتّبع الآباء ما كان البابا القديس لاون الاول قد سبق وحدّد في شأن اوطيخا هاتفين : «ان بطرس تكلم بفم لاون» واقرّوا صريحًا ان لاون هو الذي ، بواسطة قصّاده ، تصدّر مجمعهم «كما يرأس الرأس الاعضاء» . واما ديوسقورس ، الاسقف الاسكندري المخلوع ، فصرّحوا عنه في رسالتهم الى لاون انه «قد تحامل جاهلًا احق على الذي وكل اليه المخلص حراسة الكرمة ، اي حتى على قداستك الرسولية ، فعزم على رشقك بالحرم انت الذي بادرت لتوحيد جسد الكنيسة»[2]

فشتّان بين تصريحات الآباء الافسسيين والخلقيدونيين المذكورة والقول « ان الكنيسة المقدسة احترمت بابا رومة كزعيم ذي شأن وليس كرئيس مطاع . » ومما يهم ابناء شرقنا العزيز معرفته ، ان الاكثرية الساحقة ، في مجمعَي افسس وخلقيدونة ، كان قوامها الاساقفة الشرقيين دون الغربيين . وان هذين المجمعين يعترف بهما اخوتنا المنفصلون .

ولا عجب فان الآباء ، في المجامع وخارجًا عنها ، لم يغرب عن بالهم وعدُ الرب لبطرس « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن

---

١) راجع تاريخ المجامع لهيفله (Hefele) : الجزء ٢ من المجلّد ٢ من الترجمة الفرنسية ص ٢٦٠–٣٠٠

٢) ذكره فان نورت في مؤلفه عن كنيسة المسيح ص ٧٠

٣) راجع هيفله في الجزء ٢ من المجلد المذكور ص ٦٧٨–٦٩٠ و٨٢٥–٨٤٤ .

تقوى عليها.» فلو كانت السلطة السامية المطلقة ، المعطاة لبطرس ، قد تلاشت بموته ، لجاز القول ، والعياذ بالله من الكفر ، انَّ ابواب الجحيم قويت على الكنيسة فقد اخلف المخلص بوعده . واما الحقيقة فهي ان بطرس ، برئاسته وسلطته التامة ، لا يزال حيًّا في خلفائه.

اما كون الحبر الروماني هو خليفة بطرس فهذا ما يشهد به التاريخ القديم والحديث ، بل الواقع الظاهر في ايامنا هذه.

وفعلًا ان كانت كنيسة المسيح الحقيقية لا تموت ولا يطرأ تغيير على ما رتب فيها منشئها الالهي ، وان كانت منظورة ، على ما وضع لها عزّ وجل ، وجب القول ان خليفة بطرس في رئاسته عليها ، ينبغي ان يكون هو ايضاً ، والى ايامنا هذه ، منظورًا.

ولكن تُرى هل ادَّعى او يدّعي جديًّا بخلافة بطرس احدٌ من رؤساء الكنائس المنظورين ، سوى الحبر الروماني ؟ ولو ادّعى غيره بها قبل يعترف به ذووه ؟

نَعَم قد سُمع في الآونة الاخيرة مَن ينادي: «ان الرئاسة هي لانطاكية ، دون رومة.» وهو زعم اول من يدحضه القديس اغناطيوس الانطاكي[1] وهو من اقدم خلفاء الرسول بطرس على كرسي انطاكية ، بل هو اوجبهم لا محالة. فلم يبقَ الا واحدة من اثنتين: فاما ان خلافة بطرس قد انقرضت فتكون الكنيسة الحقيقية قد انقرضت معها ، مما ينقضه وعد المسيح الصريح في الانجيل الطاهر. واما بطرس لا يزال حيًّا في الحبر الروماني ، على ما حدّد المجمع الفلورنتيني المسكوني ومن بعده الفاتيكاني ، المسكوني ايضاً ، في الرأس الثاني من جلسته الرابعة ، حيث قال:

«ان قال احدٌ انه ليس من وضع المسيح الرب ، اي من الحق الالهي ، ان يكون للطوباوي بطرس ، في رئاسته على الكنيسة جماء ، خلفاء دائمون ، او انَّ الحبر الروماني ليس خليفة الطوباوي بطرس في هذه الرئاسة عينها ، فليكن محرومًا.»

---

١) راجع رسالته الى الرومانيين.

بقلم الاب جبرائيل لوقنك اليسوعي

ظلت شواطئ اوربة على البحر المتوسط قروناً عديدة ترى العداوة كامنة متحفزة في ما يقابلها من شواطئ افريقية ، حتى ان المراكب الاوربية كانت ، اذا اقتربت من تلك الموانئ ، سارت وجلة خائفة حذر الالتقاء بمراكب القراصين من البربر .

واننا نعجب اليوم لدوام الاضطراب طول تلك المدة ، في المناطق الافريقية وما جاورها من البحر المتوسط . على انها الحقيقة ؛ وقد ظل الأمن مختلاً على الرغم مما بذله الاوربيون في سبيل اقراره . وذلك لان اعمالهم هذه كانت متقطعة متناوبة ، ينقصها الثبات والتنسيق . فقد انشأ البرتغاليون مراكز حصينة على الشواطئ المراكشية ، وكذلك قام الاسبانيون بالفتوحات الباهرة على شواطئ الجزائر وتونس ؛ ولكن لم يدم شيء من ذلك مدة طويلة . وفي سنة ١٥٤١ ، اقلع الامبراطور شارلكان ، في ستمائة مركب شراعي ، وجيش لجب ، حتى انتهى الى الجزائر فحاصر مدينتها . الّا ان معاكسة العناصر اجبرته على الرجوع من حيث اتى فترك الحصار ، وظلت الجزائر عاصمة القرصنة ، وموئل لصوص البحار ، وموضوع رعب الامم المتمدنة .

وفي القرن السابع عشر تقدم الفرنساويون الى تلك البلاد ، فدخلها اولاً بعض المرسلين من الكاثوليك ، رجاء ان يُعزّوا من فيها من الاسرى النصارى ويهتموا بشؤونهم الروحية . ثم حاصرها العسكر الفرنسوي فصبّ قنابله

على اسوارها . فكان من انتقام الجزائريين انهم كانوا يضعون في فوهة المدافع كل من وقع تحت ايديهم من المسيحيين . وهكذا هلك الاب لوفاشي (Le Vacher) من اللعازريين ، وكان قنصلاً لدولة فرنسة ، بينما كان احد شرفاء فرنسة ، وهو الضابط دي شوازول بوبري (de Choiseul Beaupré) يقول لآسريه بكل عجب وأنفة : «مهما بالغتم في تشنيع جثتي ، فلن تدفعوني الى ان أفسد عليّ ديني او اجلب العار على أسرتي ! » وكان ذلك سنة ١٦٨٣

ثم اتى عصر فضّل فيه ارباب السماح بالقرصنة على قطع العلاقات مع تلك الجهات ، وكان ذلك عصر الثورة الفرنسوية ، فاقرض امير الجزائر مجلس ادارة فرنسة (*Directoire*) مليوناً دون فائدة ، وسمح لاثنين من يهود ليفورن بنقل كميات الحبوب اللازمة للجمهورية . وان من الغرائب ان تفضي المفاوضات بهذه المسألة ، بعد نصف قرن ، الى دفع الاسطول الفرنسوي الى الهجوم على شواطئ الجزائر .

***

سقطت مدينة الجزائر في يد الفرنسويين في ٥ تموز ١٨٣٠ . فكان ذلك الفتح من اهم الحوادث الحربية . اما اليوم فاننا نراه في ضوء التاريخ من اهم الحوادث العالمية على الاطلاق . وفعلاً فان كانت اهمية انتصار ما بما يعقبه من النتائج الحسنة ، فان فتح الجزائر لاهم من انتصارات فونتنوى ، او مارنغو ، او اوسترلتز ، لان به نشأ شعب جديد على ذاك الشاطئ الافريقي : شعب وطني واوربي معاً .

وعليه فاننا نرى من الحق ان نقوم بواجب الشكر لمن عملوا على تحقيق هذه النشأة الباهرة ، وقد قال اوغست برنار : « ان الملكية المجدّدة في فرنسة لم تقم فقط ، في ارسالها بعثة الجزائر ، بعمل من السياسة الداخلية تقتضيه الظروف الصعبة المحيطة بالوزير پولينياك ، بل قامت ايضاً بعمل يفرضه الشرف والمصلحة الوطنية . »[1]

---

(١) راجع Aug. Bernard, *L'Algérie, 1929, Alcan, p. 177.*

وقد خلّدت ذكر هـذا الانتصار صحيفة من الرخام وضعت على باب حصن سيدي فرّوش ونُقش فيها:

قضى في ١٤ حزيران ١٨٣٠
بامر الملك شارل العاشر
تحت قيادة الجنرال دي بورمونت
نصب الجيش الفرنسوي اعلامه
فاعاد الحرية للبحار
واعطى الجزائر لفرنسة

هذا تذكار من الحق ان يُحتفل به الاحتفـال الشائق ، لاسيما وانه من النادر ان نرى امة عظيمة تحتفل بمثل هذا الاحتفال.

* * *

كم كان عدد سكان الجزائر الوطنيين سنة ١٨٣٠ ؟ لم يكونوا يتجاوزون المليون الا قليلاً. لان حالة الحرب الدائمة ، وانتياب المجاعات ، وانتشار الأوبئة المتعددة ، كل ذلك كان يجعل من البلاد بقعة مستوخمة. اما اليوم فيبلغ عددهم الخمسة الملايين ، وقد لوحظ انه اعتبارًا من سنة ١٨٧٦ يزداد الوطنيون زيادة عظيمة متتابعة بمعدّل ٢٠٠,٠٠٠ كل خمس سنوات. وذلك نتيجة تحسين شروط الحياة ، بتعداد منشآت الصحة والاسعاف العام وما اليها من الاعمـال الانسانية المزدهرة في ظلّ السلام الفرنساوي . ثم ان الوطنيين يتحققون ان الارض نفسها قد تقدّمت من حيث غنى التربـة وكأنها زادت مساحةً . وعلى الرغم من ان القسم الكبير ، المتجاوز النصف من ارض الجزائر الشماليـة ، لا يزال مواتاً ، فقد زاد خصب الاراضي المزروعة وبلغت مساحتها ثمانية ملايين هكتار . اما هذه الزيادة المهمة فقد ارتكزت على ثلاث عمليات: التوسع بالاراضي المزدرعة ، وتحسين الزراعات القديمة ، وادخال زراعات جديدة. وكان من اجلى مظاهر هذا

التحسن الاقتصادي تقدّم زراعة الكروم ، فقد بلغت مساحتها اليوم ٢٣٨,٠٠٠ هكتار ، ولم تكن تبلغ سنة ١٨٧٩ سوى ٢٠,٠٠٠ هكتار . فبدأ هذا التقدم بتلك الحركة الاقتصادية التي انعشت بلاد الجزائر ونقلتها من العسر الى الرخاء الذي تتنعم به منذ ثلاثين سنة .

وهناك غير الكروم مزروعات مهمة كالتين والزيتون ، وهما الموردان المهمان لاهل القبائل المزدحمين جداً حتى يبلغ عددهم ١٢٣و١٩٨و٢١٨ في الكيلومتر المربع . وان ما تستهلكه العائلة الواحدة من اهل القبائل ، في السنة ، من التين يبلغ ٧٠٠ كيلوغرام ، اما الزيت فمعدل ما يستهلكه الشخص الواحد يبلغ ١٥ ليتراً .

قبل الفتح الفرنساوي كانت الاراضي تفوق حاجة السكان اتساعاً ، لان عدد هؤلاء كان قليلاً ، فضلاً عن انهم كانوا متشتتين في نواحٍ شاسعة لا يفكرون الّا بحرث ما يكفيهم من المساحة القليلة إزاء ما كنهم . وما ذاك الّا لخوفهم الدائم من الغزو وما يليه من نهب وسلب .

وعليه كان عمل الفاتحين مهماً جداً اذ صرفوا همتهم الى النهوض ببلاد ما زالت تتدهور في دركات الخمول منذ العهد الروماني ، فأمّنوا حياة سكانها ، وحسّنوا اقتصادياتها بان جدّدوا زراعتها وعززوا صناعتها وتجارتها ، فبسطوا امام اهلها كنوز اراضيهم المختلفة الثمينة . فكان من واجب الوطنيين ايضاً ان يحتفلوا مع الفرنساويين بهذا التذكار المئوي .

* * *

على ان الانسان لا يعيش بالخبز وحده . فما كانت قيمة التأثير الاخلاقي والديني الذي أثّره الاوربيون في ذاك الشعب ؟ هو ما سنجتهد في تبيانه :

دخل الفرنساويون الجزائر ، ولا ميل يدفعهم الى مناوأة دين السكان او اخلاقهم او عاداتهم ، فلم يكن دخولهم يشبه في شيء تلك الفتوح القديمة المرتكزة على الجهاد الديني . ولكن كان من طبيعة الحال ان تتقابل المدنيتان وجهاً لوجه بما لكل واحدة من الحقوق والواجبات . على ان الكثيرين من

الفريقين لم يتنبهوا لهذه النقطة ، فتركوا الامور تجري بمجراها دون اهتمام او شبه اهتمام بالعلاقات الدينية والاخلاقية. حتى قام كبار الكاثوليكيين واوضحوا ، بكل اخلاص ، افكارهم في هذا الشأن ، فكان لهم فخر المتقدم.

كان عمر الجزائر الفرنساوية عشر سنوات ، اذ وصل اليها سنة ١٨٤١ ، الكاتب الصحافي الشهير لويس ڤيليو (Veuillot) ، وذلك في اول عهد حكومة المارشال بوجو (Bugeaud) . وكان الفرنساويون لم يقوموا بعد بعمل يستحق الذكر ، فكان الامن لا يزال مضطرباً ، والحرب مستعرة على ابواب قسنطينة ووهران ، ومعسكر مليانة محاصراً ، وكان على الانسان ان يسير وراء المدافع حتى يصل بامان من مدينة الجزائر الى بليدة . فكان يتساءل القوم عن نتيجة تلك الحروب وهل يكون فتح الجزائر شيئاً صالحاً او سيئاً. في تلك الظروف الحرجة ، أسس الحبر الاعظم اسقفية الجزائر ، وصرح بانه يريد ان يعيد الى كنيسة افريقية مجدها الغابر. اما ڤيليو فقال: «ان تكون فرنسة قامت بهذا الفتح ، فان ذلك عمل العناية الالهية التي شاءت ان تفتح تلك البلاد لاستقبال كلام الانجيل». ولكن تلك الغاية النبيلة لم تكن بادية للعيان . على ان هذا لم يمنع ڤيليو من متابعة القول : « اننا نعتقد العمل في سبيل تعزيز التجارة والاقتصاد ، بينما نعمل حقيقة في اتمام عمل الصليبيين. وان تجارنا الضعيفي الايمان يتممون جهود اتقياء المسيحيين في القرون الوسطى . فكل ارض حلوها هي أرض تُقام فيها ذبيحة القداس ، ويمتد فيها الاطفال ، ويُنشد فيها القديسون ، مهما كان عددهم ، مدائح الاله العظيم ! »[1]

فترى ان هذه النتيجة الدينية كانت تظهر ضرورية للويس ڤيليو وقد قال: « اذا شئنا ، في فتحنا للجزائر ، ان نؤسس شعباً حيًّا يلزمنا ان نجتهد في ردّ هذا الشعب الى الله. وهذه هي العلامة التي تدلنا على ان الفرنساويين يمكنهم الاحتفاظ بالجزائر ... يستحيل على العرب ان يصيروا لفرنسة الّا اذا صاروا فرنساويين ، ويستحيل عليهم ان يصيروا فرنساويين الّا اذا صاروا مسيحيين ،

(١) راجع Veuillot, *Les Français en Algérie*, 7e édit. Mame, 1867, *introduction*, p. 6.

ويستحيل علينا ان نصيّرهم مسيحيين ان لم نصر نحن ايضاً مسيحيين حقّا.»[1]

وانه لمن العجب ان نسمع الصوت نفسه مرتفعاً من اعماق الصحراء ، بعد ثمانين سنة ، وهو صوت الاب دي فوكو. وبين هذا وذاك ، كان الكردينال لاڤيجري يبذل جهده في اعزاز كنيسة الجزائر وترقيتها.

وكان اول هذا التحسين في سنة ١٨٦٧ ، فزيد في تنظيم الكنيسة بان رُفع اسقف مدينة الجزائر الى درجة رئيس اساقفة ، وانشىء مطرانيتان جديدتان في وَهران ، وقُسنطينة . ثم استلم الادارة الكردينال لاڤيجري فثقب نظره ظلمات المستقبل ، وصرّح لاكليروسه بعيد وصوله قائلاً: «دونكم مستقبل هذه الكنيسة ، ودونكم ما يجب عليكم القيام به ، وما اساعدكم فيه بكل ما عندي من الوسائط ، وان ضعيفة : يجب ان نجعل من ارض الجزائر هذه مهداً لامّةٍ عظيمة ، كريمة ، مسيحية ، وبكلمة اخرى يجب ان نجعل فيها فرنسة جديدة ، فننشر حولنا الانوار الحقيقية لمدنية زاهية يكون الانجيل موردها الصافي وشريعتها السامية.»[2]

واننا نرى ذاك الشعب الجزائري ينشأ ويتألف تدريجيّاً فيتحقق شيئاً فشيئاً قول الكردينال ، وقول ڤيليو الذي طلب في الجزائر أُسراً مسيحية ، وكهنةً اتقياء محترمين.

اما اول من اهتمّ الاهتمام الفعلي المكلّل بالنجاح بتطوّر الشعب فكان المارشال بيجو ، واسمه من اشهر اسماء العظماء في الجزائر. فقد اوجد الجيش الجزائري ، وعزّز الأمن ، وباشر اعمال الاستعمار الحسن ، فكان لذلك طريقان: الرسمي والحرّ[3] . وقد مرّ كلاهما بكثير من العقبات الشديدة ، وما زال يبذل الاوربيون ، من مختلف الشعوب ، جهودهم حتى وصلوا الى درجة حسنة

١) الكتاب نفسه *Op. cit. p. 69*

٢) Baunard, *Le Cardinal Lavigerie*, 2 vol. *1896*, *Poussielgue* ; *t. I, p. 164*

٣) انظر في ما خصّ اعمال الاستعمار الرسمية الابحاث التي قام بها سنة ١٨٩٨ السيد دي پيرينحوف (de Peyerinhoff) والتي نشرها مؤخرًا لجنة بيجو ، ومن رأيها مباشرة الاعمال الاستعمارية في اواسط الفلّاحين. اما اسم الكتاب فهو:

« *La colonisation officielle de 1871 à 1895*; in-8°, *Paris, Soc. d'édit. géograph.* »

الرسم ٥
فنير جزائري من البربر

عن Abendland und Morgenland

الرسم ٦
امرأة جزائرية
عن Abendland und Morgenland

فتحققوا ، سنة ١٨٩٦ ، ان عدد مواليد الاوربيين في الجزائر زاد على عدد المهاجرين اليها.

اما اليوم فيبلغ عدد الشعب الجزائري الاوربي ، حسب احصاء سنة ١٩٢٦ ، ٨٣٣,٣٥٩ نسمة منهم ٦٥ ٪ فرنساويو الاصل ، و٣٥ ٪ الباقون من الاسبان والمتجنسين بالجنسية الاسبانية من يهود واوربيين ، ثم من الايطاليين ، والمالطيين وغيرهم . وقد قدم اكثر الفرنساويين الجزائر من جنوبي فرنسة من مقاطعات پروڤنسة ، ولانغدوك ، ودوفينية ، ومن كورسيكة . وهم يؤلفون الاكثرية في سكان المدن والقرى . وقد أشير مرات عديدة الى قوة أنسالهم ، وشدة بنياتهم ، لاسيما من كان عائشاً منهم في المزارع . ويرى علماء الاجتماع في هذا الامر افضل ضمانة لمستقبل الشعب الجزائري الفرنسوي ، وهم على صواب في ما يرون.

ومما يجدر بالذكر ان هؤلاء السكان تأثروا بعوامل التبليد العديدة ، وعملت فيهم مظاهر البيئة التي هاجروا اليها ، فغدا لهم مظهر خاص ، وهيئة خاصة ، ونبرة ، وعادات ، وأخلاق خاصة . وكذا القول عن سائر المهاجرين الاوربيين ولاسيما الاسبان واهل مالطة ، حتى اصبح في الجزائر شعب جديد اقوى وانشط واوفر اقداماً وجرأة من اخيه الاوربي.

ينتشر الاسبان ومن اليهم في كل الجزائر تقريباً ، الّا انهم يكثرون في جهة الغرب في مقاطعة وهران التي لا تبعد اكثر من ثماني ساعات بطريق البحر عن مدينة قرطجنة . ولهم من الجرأة والجلد على العمل ، والقناعة في الاكل ، واحتمال تقلبات المناخ ، صفات جليلة تساعدهم في جميع مشاريعهم.

اما الايطاليون فكثيرون في جهة الشرق حول مدينة بونة ، واكثر اعمالهم الملاحة ، والاستخدام في المشاريع المهنة كالبناء والتعدين ، واستخراج الفوسفات . واما المالطيون فلا يستغربون شيئاً في بلاد الجزائر ، ولاكثرهم ميل خاص لتعاطي الاعمال التجارية البسيطة فيفتحون الحوانيت الصغيرة ويتوصلون الى الرخاء لما فيهم من روح الحذق والاقتصاد.

ولكن على الرغم من هذه العناصر المختلفة ، نرى ان المصالح المشتركة

والتزاوج ، والاتحـاد في العقليات والاخلاقيات والسياسيات يؤلف بين الجميع ويجعل منهم ، على تباين اصولهم ، شعباً واحدًا هو الشعب الجزائري.

على ان هناك ألفةً اخرى يلزم تحقيقها ، وعنصرًا آخر يلزم ضمه الى هـذه العناصر. الا وهو الشعب الجزائري الوطني من البربر الذي اشرنا ، في اول المقال ، الى زيادة افراده زيادة مطّردة ، والذي يؤلف الاكثرية الساحقة فيبلغ ٨٦٪. وهو عنصر قوي ، جريء ، ذكي ، يقترب في كثير من صفاته ، من فرنساوي الماسيف سنترال (Massif Central).

اما الفرق الجوهري الذي يفصل هذين الشعبين الجزائريين احدهما عن الآخر فهو الدين. يتفق جميع البحاثين على ذلك ، ثم لا يجرب احد معالجة هذه المسألة. وقـد قال اوغست برنار : « ان لم يكن متعلقاً بنا ان يترك اهل الجزائر اسلامهم ، فلا ارى من المحال ان نجعلهم من متكلمي اللغة الفرنسوية . »[1] وقالت لجنة بيجو : «ان العمل الجوهري الضروري الذي من شأنه ان يقلب طباع الوطنيين في الجزائر فيقرّبهم منّا ، هو ان ندخل بينهم ، في الاوساط التي لا تزال تحجبها الاشواك والغياض ، عدة الاف من الفلاحين الفرنساويين.» على ان كل هذه الاساليب لا تحلّ تلك المسألة العويصة حلًّا كاملًا . ولا نرى لها حلًّا الا بطريقة واحدة ظهرت في تضاعيف هذا المقال ، وهي الطريقة الكاثوليكية-

(١) A. Bernard, *L'Algérie*, 1929, *Alcan*, p. 382.

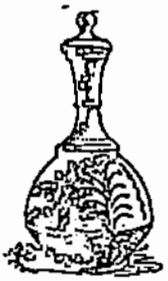

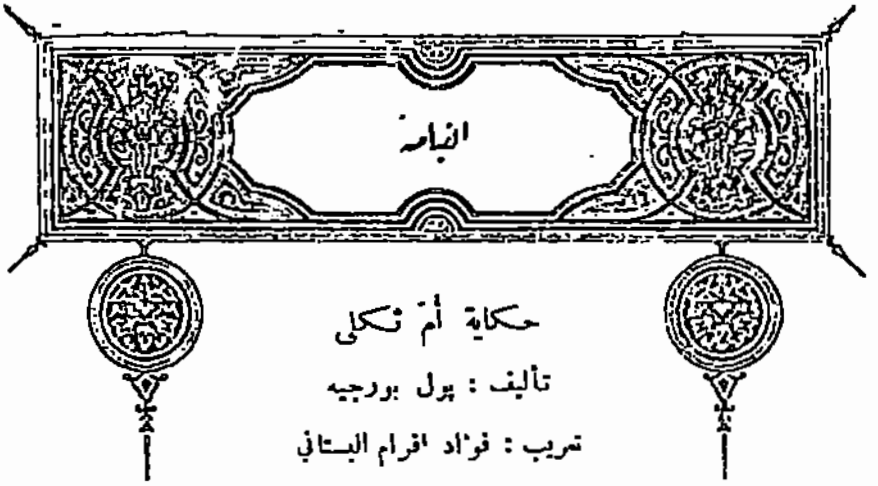

حكاية أم نكلى

تأليف : بول بورجيه

تعريب : فؤاد افرام البستاني

٣ (تابع)

سمعت نفسها تلفظ هذه الكلمات التي تدفقت فيها آلامها الهائجة ، فأخذها نوع من الهلع دفعها الى الوقوف ، فتركت المقعد الحجرى الذي كانت جالسة عليه. وامرّت يديها على عينيها كأنها تريد ان تطرد تجربة تلك الامنية الفظيعة ، واخذت تعاود سيرها في نواحي الحرج مسرعة خطاها ، كما لو ارادت الهرب من ذاك المشهد الباطع ، الهرب من رؤية الطريق التي سيأتي عليها ولدا زوجها ، الهرب من افكارها ، الهرب من ذاتها . كانت تهيم في تلك الحديقة الفسيحة الموحشة ، فتختار الماشي الضيقة التي لا تكاد تُطرق ، فتعلق الاغصان اليابسة بفستانها ، وتفرقع كوز الصنوبر زالقةً تحت قدميها ، وتنحّي بيديها بعض الانجام الشائكة ، او بعض اغصان الاريقى العالية . وبينما كانت تسير مدفوعةً بنوع من الهذيان الوحشي الى إيلام قدميها على تلك الطريق الكثيرة العقبات ، وايجاع اصابعها بشوك الاغصان والاوراق ، كانت فكرتها تهيم هي ايضاً ، على غير هدى . على ان تلك الثورة القوية التي حملتها مؤخرًا على بغض ولدي زوجها كانت قد هدأت . ولكنها تركت في فؤادها سآمةً مؤلمةً ، ونوعاً من الكره لا يقاوم كانت تُقرّ به اذ ذاك ، بل كانت تعتبره من حقوقها ، كما لو كان انتقاماً مشروعاً من مصيبتها. كانت تهيم ، وفي فكرتها يتجلى قصد كثيرًا ما اقلق خاطرها ، ولكنه لم يتوصل قبلًا الى هذه الدرجة من الدقة والاستواء . أيّة فائدة في ان تتابع ، تجاه ذينك الشخصين اللذين

كان وجودهما وحده يعذّبها ، القيام بتلك السخرة ، بل بتلك المهزلة ، فتمثل امومةً اصبحت منافية للحقيقة ؟ لماذا لا تتخلّص منهما بان تفعل بهما كما يفعل كثير من الاهل باولادهم الحقيقيين ؟ فبدلاً من ان تحتفظ بهما في البيت ، لماذا لا ترسلهما : الصبي الى مدرسة داخلية ، والفتاة الى دير البنات ؟ فتبقى هي وحدها ، مع ولدها الميت ، متخلّصة من سماع تلك الاصوات حولها ، وتلك الضحكات ، وتلك الالاعيب ، وسائر تلك الحركات التي كانت تهزأ بألمها ؟ ان غي الوافر الشعور ، واليس اللطيفة الاخلاق ، لا يكونان سعيدَين بين جمهور طلبة المدارس الداخلية . ولكن كم من صغار الصبيان وصغيرات البنات يقاسون ، وهم بعمرهما ، ذاك المنفى بالبعد عن العائلة ، ومع هذا يكبرون كغيرهم ؟ وان لم يكونا سعيدَين ؟ اوليس ذلك من العدل ؟ . . كانت اليصابات تعرف ان انّهما كانت ، وهي على فراش الموت ، قد رجت من زوجها ان يترك منصبه ، ليعيش مع الولدين ، فلا يفارقهما بل يحبّهما حباً مزدوجاً لانه سوف لا يبقى لهما سواه . وكانت تذكر ايضاً كم كان في قلبها من الشفقة ، لما قبلت وصية المائتة ، فعبّرت عن رجائها الاخير قائلة : «بما ان الاب لا يزال في خدمته العسكرية ، فعليّ انا ان لا افارقهما ، انا اظلّ دائماً معهما فاكون لهما ما ارادت ان تكون هي ! » فهل يوافق رغبة المائتة ، رغبة تلك التي حلّت اليصابات محلّها واخذت على نفسها ان تقوم مقامها في كل شيء ، هل يوافق رغبتها المقدّسة ان تخرج اليصابات ذينك اليتيمين من منزلهما الابوي ؟ من الحقّ ان ضميرها كان يجيبها لا . ولكن « الخالة » اذا انتبهت عواطفها ، اصبح من الصعب ان تهدأ . ومن غريب مظاهر العاطفة البشرية المتألمة حتى المرض ، ان المرأة الحية ، الفاقدة ولدها ، كانت تشعر إزاء المائتة ، التي لا يزال ولداها يتمتعان بالحياة ، بتلك الغيرة الجافية التي تتراجع الى الوراء ، فتفقد بسببها الحادّ كثيراً من الزيجات الثانية ، وتجعل من افضل المخلوقات احياناً آلات للعذاب لا تشعر ولا ترحم . ولهذا فبما ان وضع الصغيرين في المدارس الداخلية كان احدى مخاوف الام ، وهي على فراش الموت ، كانت « الخالة » ترغب فيه شاعرة بلذّة خفية مبهمة كانها لذة الانتقام . . . وكانت تشعر ، فوق ذلك ، ان هذا العمل ليس الّا

الابتداء ، ليس الّا الخطوة الاولى على طريق من القسوة لا تقف فيه عند حدّ . . . ولكن سوف يرجع الأب ، فما تقول له ؟ وهنا اصبحت التجربة اوفر اثماً من ذي قبل . لم يكن للصغيرين من شاهد لدى ابيهما ، البحري الغائب ، سوى «خالتهما» . فكان من السهل ان تكتب الى زوجها انها لم يعد بامكانها الاحتفاظ بالولدين من اجل هذه النقيصة او تلك العادة . ولم تكن بحاجة الى الكذب في ذلك لان الصغير كان غضوباً من طبيعته ؛ وكانت الفتاة ، من طبيعتها ، تجاوب بشيء من عدم الاعتبار . وكانت اليصابات ، في ما مضى ، تحول دائماً بين نقائص الصغيرين وقسوة ابيها ، كما لو كانت امهما الحقيقية . أما الآن فما عليها الّا تغيير خطتها تلك — أوَ ليس هذا من حقها ؟ — وعليه فان ارسال الصبي الى المدرسة ، والابنة الى الدير ، غدا بسيطاً ، بل نافعاً ، بل ضرورياً ! . . . اما كون عملها هذا يؤثر في حنوّ الاب على اليتيمين ، ويبعد عما كانت رسمته لنفسها من المقاصد السابقة ، فلم تكن لتهتم به ، لان عملها سيخفف من عذابها في المستقبل . . .

٤

لكل نفس جوّ خاص من الافكار ، لا يمكنها التنفسّ طويلاً اذا اخرجت منه . وان الشعور الشريف قد ينحطّ زمناً فينقاد الى قصد المقاصد السافلة ، بل قد يباشر تنفيذها اذا ما انتابته نوبة مضلّة ؛ ولكنه من المحال ان يرضى مغتبطاً بتلك المقاصد . عندما صرّحت السيدة الفتية لنفسها : «لقد قصدت قصدي ، فسابعدهما عن المنزل ، قبل مرور ثمانية ايام» ، عند ذاك جزّبت ان تُقلع عن التفكير بالصغيرين اللذين سوف تعاملها بتلك القساوة ، وعن التفكير بالدور الشائن الذي سوف تمثله امام ابيهما ، وبدافع غريزي اخذت تستغرق بكليتها باستعادة ذكريات اندري ، علّها تخدّر وساوسها الذي بدأت تشعر به في اعماق ضميرها الطاهر . فاستدعت الشبح الصغير بجدّة من الاسف جعلتها تخاله حاضراً لديها ، كما لو لم تكن رأته جامداً على نعشه ، وقد فُتح فوه بعد ان تقطعت انفاسه ، واغمضت عيناه ، وضُمت يداه الشاحبتان كلون الشمع الى الصليب ؛ كما لو لم تكن شاهدت الرجال السود يسترون خشب التابوت فوق

ذاك الشيء الساكن بلا حراك الذي كان ، الى الامس ، ولداً ضاحكاً لا يبالي بشيء ... كانت تتصوره الى جنبها ، وعلى خصل شعره الذهبية ينعكس نور الشمس الزاهي. وقد بلغت دقة تلك الصورة ، وتأثيرها في الام حتى شعرت هذه بميل لا يقاوم يدفعها الى تغذية حنوّها بشيء حقيقي ، شعرت بحاجتها الى القيام بعمل يكون فيه نصيب لهذا الابن المعبود ، شعرت بشهوة تحملها على خدمته بشيء . فجعلت تجمع اجمل ما كانت تراه من اغراس الاريقى البيضاء لتحملها اليه ، وتزيّن بها غرفته . منذ اليوم الذي سارت فيه جثة الصغير الى المقبرة من المنزل — ذاك المنزل الذي دعي «المنزل الوردي» فاصبح الاسم مدعاة للتهكم المؤلم ! — لم تشأ الام ان يغير متاع واحد من اثاث الغرفة. وقد نالت من زوجها الوعد بان يشتري ، بعد رجوعه ، ذاك المنزل الذي كان استأجره لقربه من طولون اذ كان ضابطاً في احد المراكب المرابطة هناك . وكم من النساء ، امهات كنّ او زوجات او فتيات ، يزيّن هكذا ان يُطلن وجود كائن معبود لديهن يحفظ ما كان يعزّ عليه من الاشياء ! ثم يأتي الزمن فيُهلك الكاهنة نفسها التي كانت تقوم بهذه العبادة ، ولا يُبقي من تلك الذخائر التي كانت تكوّن كنزها الثمين ، الّا مخلّفات لا قيمة لها من اطمار رثّة ، واثاث قد بلي وانقضى زمنه. ولكن من يجرأ ان يلوم قلباً أميناً على جهاده في ان يخترع ، ولو مدة قليلة ، من الفناء الآتي على كل شيء ، هذه المجموعة من الامتعة الوضيعة ، الثمينة ، الشخصية حتى تكاد تكون اشخاصاً حية ؟ منذ اربعة اشهر ، لم تخالف الام يوماً واحداً ، عادتها بأن تذهب ، كل صباح وكل مساء ، الى تلك الغرفة الصغيرة التي فاضت فيها آخر نسمات وحيدها . فكانت تفتح نوافذها بنفسها ، وترفع الغبار عن اثاثها ، وتنشر الثياب الصغيرة التي كانت لا تزال محتفظة بشكل الجسد الصغير ...

هو مظور لتقواها الجريحة كان يدفعها الى القيام بهذه العبادة المؤثرة التي لا تجدي نفعاً . وهذا ما شاءت القيام به الآن . كانت باقة ازهار الاريقى قد ضخت حتى ثقلت على يديها ، فضمتها بساعديها وسارت بهذا الحصاد الباطل ، وهي سعيدة يائسة معاً ، فانحدرت نحو المنزل المتراءي بين الصنوبر الحلبي ،

واشجار النخل واليوكا ، بلون ورديّ ، لون الفرح والرجاء . كان جديراً بمشاهد مأساة مؤلمة ظهورُ تلك السيدة الفتيّة الشقراء غارقةً في حدادها الاسود ، حاملة باقة الاريقى البيضاء العطرة ، مسرعةً نحو ذاك المنزل الزاهي الالوان ، تحت تلك السماء الزرقاء ، في تلك الحديقة المخضرّة ، كما يُسرع الانسان نحو بلاط ضريح ، فيزينه بالازهار ويبكي فوقه !

٥

. . . دخلت الام منزلها من الباب الخلفي ، وهي غارقة في افكارها حتى انها لم تنتبه للحوذي يغسل ، امام الاصطبل ، دواليب المركبة الانكليزية — ممّا يدلّ على ان نزهتها الكئيبة كانت اطول من المعتاد . وكان غي واليس قد رجعا من زمن طويل . فما كادت اليصابات تدخل المشى المؤدّي الى غرفة الميت ، حتى شعرت برجفة شديدة غريبة اذ رأت الباب مفتوحاً قليلاً ، وسمعت صوت الولدين ، صوت ذينك اللذين عذّبتها صورتهما طول صباحها فحصرتها ضمن نطاق من البغض والظلم . . . ماذا يفعلان في هذه الغرفة التي حرّمت دخولها على اي كان ، والتي لو لم يمرّ فيها ، بين خصاص النافذة وفتحة الباب ، شعاع من الشمس فيقطعها بجبل من نور ، لظلّ الظلام مشتملاً عليها . فوقفت الام جامدة تصغي الى ما يقوله الزائران ، دون ان تميّز تماماً حركاتهما ، وقد شدّت باقة الزهور على قلبها المتضاعف النبضات . فهمت ، في تأثرها الشديد الذي لم تكن لتدري أتصفه باللذة ام بالالم ، ان اخا اندري المسكين واخته قد سبقاها الى القيام بتلك الزيارة الحنونة التي كانت تنويها . في ذاك الصباح المشعّ ، تذكر الولدان اللطيفان رفيق لعبهما الغائب . فجمعا له ازهاراً من الجنينة القريبة ، كما جمعت له امه الازهار من الحديقة البعيدة ، وارادا ، في سذاجتهما الصبيانية المؤثرة ، ان يشركا بالعيد الكبير ، ذاكرتيا له بعض البيض امام باب الكنيسة ، واسرعا ليهديا اليه هدية الفصح المجيد . سمعت الام صوت اليس :

يجب وضع الباقة هنا . هل تذكر تلك الجشرات الذهبية التي كنا نلتقطها له من بين الورود ؟ . . .

فاجاب غي : وهنا يجب وضع البيض ، كما صنعنا الستة الفائتة. لقد كان مسرورًا جدًا اذ ذاك ! آه كم اود ان اراه واقبله !

فقالت الصغيرة : هذا مستحيل ! ... على اننا سنجده في السماء !

فقال الغلام : آه ! لو كان يقوم من الموت ! لقد قام العازار ! وقام سيدنا يسوع المسيح ايضاً ... اني اسأل الله هذا كل مساء ، وكل صباح . واني متأكد ان امنا تسأله الشيء نفسه ايضاً ... فاذا قام ، يكون الله قد صنع اعجوبة ليس غير. ولم لا يصنع الله هذا من اجلنا ؟ ... فانني اعتقد بوجود العجائب ...

وبينما كان المؤمن الساذج ، ذو التسع السنوات ، يفوه بهذه الكلمات ، لم يكن ليخال ان اعجوبةً حقيقية كانت تحدث قريباً منه ، لدى سماع صوته ، وقيامة جديدة ، هي قيامة العدالة والشفقة ، قيامة الحنو والواجب ، قيامة الفضائل السامية ، كانت تحدث في نفس تلك التي كادت تصبح اقسى «الخالات» له ولاخته . باغت الامَّ برهانٌ صباني بأن اليتيمين لا يزالان يذكران اخاهما الميت ، فتأثرت حتى اعماق كيانها . وما عتم غي واليس ان ابصرا الباب يفتح على مصراعيه ، فخافا ان يُلاما على عملهما ، ولكن سرعان ما تحوَّل خوفهما الى طمانينة لطيفة ، اذ شاهدا الام — انها — قد دخلت فبسطت لهما ازهارها قائلة : « خذا واعطياه هذه ايضاً مع زهوركما ... » ثم اخذتهما معاً فضمتهما الى صدرها بولع ، بل بجنون ، كما لو كانت تضم الآخر ... الم تجدهما ، هما ايضاً ، بعد ان كانت قد فقدتهما ؟ ثم اجهشت في البكاء ذارفة دموع الالم ذاته ، ولكن بعد ان لطفه الحنو ، كما لو كانت روح ملاكها الغائب همست في اذنها : «اجيبهما كما تجيبني ا ...» فذاب الحقد الفظيع ، والمقاصد السيئة ، والحسد القاسي ، وسائر سيئات الاهواء الحاطة ، وانحلت طائرة بتلك القبلات . واذا بسر التجديد العظيم ، الذي تحتفل به الكنيسة ، والذي يظهر في مشهد الربيع ، يفعل مفعوله ، مرة اخرى ، في هذا القلب البشري : واذا بالحياة تطرد منه الموت ، واذا بالمحبة تنتصر فيه على البغض .

مجلة المجلات

درس الآداب العربية الحديثة

نشر المستشرق اغناطيوس كراتشقوفسكي ، في مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق : كانون الثاني ١٩٣٠ ، ص ١٧) بحثاً ضافياً في «درس الآداب العربية الحديثة ، ومناهجه ، ومقاصده في الحاضر» اودعه الملاحظات القيّمة عن تقصير ادباء العرب ، في الشرق والغرب ، في ما خصّ الاهتمام بآدابهم الحديثة. وبعد ان قدّم كلاماً في صلاحية تقسيم تاريخ الآداب الى اطوار ، قسم ملاحظاته الى ثلاثة اقسام : ١ً قلة الابحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . ٢ً احوال الابحاث في تاريخ الآداب بين الامم الاخرى . ٣ً تنوع المناهج والاساليب لدرس تاريخ الآداب في الحاضر . وقد رأينا ان نقتطف شيئاً من توطئته ، قال (ص:١٨) :

ولسائل ان يسألنا سؤالاً ثانياً هل يجوز إفراد طور مخصوص نسميه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة الأطوار المتقدمة ولا فرق بينها. ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الاطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطر . وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي ومخيوط لا ترى ولا حدّ محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقاً انه لا فرق بين مناهج درسه . ومع ذلك فانا لا نرى انساناً او نباتاً يشبه نفسه في أطواره المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لاطوار في تاريخ اي شيء كان وان كانت الاطوار بنايات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الاجمالي. ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدئ من نقطة محسوسة معيّنة بل يتدرّج عمّا قبله تدريجاً. وهذا لا يمنعنا من ان نأخذ وقعة تاريخية حدّاً لطور ما ولاسيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسويين على مصر بقيادة نابوليون التي جرّت على الشرق العربي نتائج جمة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها ادبية ووصلته باوربة بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى ايامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وان كانت بدأت مع اوربة قبل القرن التاسع عشر بكثير الّا انها توطدت بعد فتح المدارس المتنوّعة وخصوصاً في

لبنان وبيروت . وهذا ما يدعونا لان نبتدىء بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وان لم تنس ما قلناه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الاطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها .

الانفراد بالرأي في الادب

وفي المجلة نفسها (شباط ١٩٣٠ : ص٩٣) باشر الاستاذ شفيق جبري طبع سلسلة محاضرات كان قد القاها في كلية الآداب ، في دمشق . نشر منها في هذا العدد ثلاثاً خصّ الاولى « بالادب : انفته . فنه . غايته » ، والثانية «بثقافة الذوق : دراسة المصادر الادبية . الانفراد بالرأي في الادب» ، والثالثة « بمزج الثقافات» . فكان في اكثرها مرآة للاستاذ غوستاف لانسون ، الناقد الفرنسوي المعروف ، فوسّع بعض آرائه مقرّباً اياها من متناول سامعيه ، باسلوب واضح ضمّنه الكثير من الحقائق البديعة التي ، ان افادت مجمل الطلّاب ، فقد لا تفيد كثيراً جمهور الادباء ، ومعرفةُ هذه الحقائق مقرونة عندهم حتى يظهر أن التوسع فيها ، والبرهان عنها ، من باب تحصيل الحاصل . على اننا لا نلوم الاستاذ جبري في ذلك ، لان الاعمال بالنيات ، ونيته صالحة . ولكننا نود ان نذكر بعض الملاحظات ، لا على تحديده للأدب ، ولا على عدم تحديده للذوق ، فمجالنا اليوم اضيق من ان يتسع لذلك ، بل على آرائه ، او آراء لانسون ، في ما خصّ « الانفراد في الادب» . نقل الاستاذ رأياً للانسون في هذا المعنى وعلّق عليه قائلاً (ص ١٢) :

هذا ما قاله لانسون ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلام على المتنبي مثلاً لزمنا ان ندرس شعر المتنبي نفسه دون ان نردد ما قاله فيه بعض الاساتذة كالثعالبي والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حسّ المتنبي لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المتنبي وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا ينمو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق نما معه الشعور بالجمال .

اني لا ارى اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بآرائهم في الادب . وعلى الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيه حقائق مبنية على اصول مستندة الى عقل اي ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب يتبع الذوق والعاطفة فتتغير آراء الناس فيه بتغير اذواقهم وعواطفهم انظروا

مثلاً الى « فيكتور هوغو » فقد قال فيه « فاكه Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول فرانس : « ان مجد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر صعب حرج لقد ذهب اعجاب المعجبين به الذين كلوا واعيوا بعد ان جهدوا في ذلك الاعجاب خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الاوهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه يتبين لكم قلق الادب واضطرابه فاذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر الذين يريدون ان يذوقوا لذة الادب بالانفراد بآرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

لا يخفى على الاستاذ الفاضل ان في الفنّ الادبي طائفة من العوامل «مستندة الى العقل» خالدة بخلود الجمال ، لان الادب لا يقوم فقط «باتباع الذوق والعاطفة» والا فهو متقلقل مضطرب ، ولا يخفى عليه ان هذه العوامل تؤثر فينا ، عند درسنا كاتباً او شاعراً ، الاثر نفسه التي تكون قد اثرته في من تقدمنا من الدارسين . فمن باب اضاعة الوقت اذاً ان ينفرد كلّ منا في احكامه ، وان يبدأ عسر النقد الادبي بنفسه . هذا فضلاً عن انه ليس لكل ناقد من حسن الذوق ما يكفل له الوصول الى الحقيقة النقدية في انفراده الشخصي ، وان يكن هذا المذهب قد نجح مع جول لومتر ، او من هم على شيء من ذوق جول لومتر ، فلا ينجح مع الكثيرين غيره . من الحسن ان نستقلّ بالحكم الشخصي ، ولكن ذلك يكون بعد الاطلاع على احكام من تقدمنا . لانه لو لم يكن في عرض رأينا على رأي الغير الا تنجيتنا من الادعاء والتبجح بمقدرتنا على اكتشاف كل شيء ، لكفى !

اما مثل الخلاف بين فاغيه وفرانس في الحكم على فيكتور هوغو الذي اختاره الاستاذ جبري وظنه حجة لكلامه ، فهو ابعد من ان يؤيد ذاك الرأي . ومن الغريب ان لا يرى الاستاذ ان الخلاف بين الناقدين كان سببه اختلاف وجهة النظر ؛ بل لاختلاف بينهما ، اذ ان الخلاف والاتفاق لا يكونان الا بالنسبة الى شيء واحد مشترك بين الامرين . ونحن نرى ان فاغيه نظر الى اسلوب هوغو ليس غير ، واصدر حكمه بالنسبة الى هذا الاسلوب فقال : « هوغو من الخالدين لأن جمال الاسلوب هو الذي يخلّد . » اما اناتول فرانس فنظر الى قيمة الشاعر الفكرية ، ولما رآها ضئيلة ، اصدر حكمه الشديد ، فبدّد « طائفة من اوهام من كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكّر اكثر من ذلك » . ولو اورد لنا الاستاذ حكم فرانس على اسلوب هوغو ، او حكم فاغيه على قيمة هوغو الفكرية لكان مجال للمقابلة ، فللخلاف او للاتفاق .

ومهما يكن من امر فاننا نسرّ كل السرور اذ نرى اخواننا ادباء دمشق ينصرفون عن التقليد العقيم ، فيحوّلون ابصارهم الى الامام . . .

ف . ا . ب .

شذرات

التذكار المئوي لنقل جسد القديس منصور دي پول

في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ نيسان الفائت، احتفل المرسلون اللازاريون الكرام، في كنيستهم بباريس، احتفالاً شائقاً اشترك فيه الكرادلة والاساقفة والمرسلون، وذلك لمرور مائة سنة على نقل جسد مؤسسهم القديس منصور دي پول الى كنيستهم المذكورة، بعد ان أُخفي اثناء الثورة الفرنسوية، وتنقل بعدها من كنيسة الى كنيسة. وقد رأينا ان نذكر في ما يلي بعض التفاصيل عن اخفاء الجسد الكريم ونقله:

في بدء الثورة الفرنسوية، وُضع الجسد في صندوق من السنديان، وأُخفي في بيت السيد كلاره (Clairet) وكيل اللازاريين امام المحاكم. ولما رجعت راهبات المحبة الى باريس، سنة ١٨٠٠، طلبن الى الاب برونه (Brunet)، نائب الجمعية العام اذ ذاك، ان يسمح لهنّ بنقل الجسد الى كنيستهنّ. فسمح لهنّ بذلك، فنُقل الجسد على اثر بناء الكنيسة سنة ١٨٠٥.

ثم كان ان رئيس اساقفة باريس السيد دي كيلان قدّم، باسم مدينته، صندوقاً بديعاً من الفضة الخالصة، يرى المطالع رسمه في اول الصفحة التالية، ليحفظ فيه جسد القديس. فنُقل الجسد الى دار الاسقفية، سنة ١٨٣٠، ووضع في الصندوق الجديد. ومن هناك جرى الاحتفال بنقله الى كنيسة الآباء اللازاريين، وهم احقّ الناس به.

وقبل الاحتفال أُجري فحص الجسد، فكان طول الهيكل متراً و ٦٠ سنتمتراً، ينقصه ١١ ضلعاً، واليد اليسرى، وعظمة الركبة اليمنى، و ١٣ سنّاً، سبعة من الفكّ الاعلى، وستة من الاسفل. وكانت العظام قد رُبط بعضها الى بعض بشريط من نحاس. فالبس الجسد قميصاً من حرير ابيض، وفوقها قمص القديس، ثم بطرشيل بنفسجي اللون موشّى بالذهب. ثم أُلبس فوق هذا ثوباً من حرير اسود، فوقه «درع» ثمينة جداً وعليها بطرشيل موشّى

الصندوق الفضي وضمنه جسد القديس منصور

بالذهب الخالص . ووضع في رجليه حذاء من مخمل اسود . ثم كُوّن على عظام الوجه قناع من الشمع يشبه صورة القديس ، وألبس على رأسه قلنسوة من حرير اسود . وكذلك جعل على عظم اليدين ما يمثلهما من الشمع ، ووضع بينهما متكئاً على الصدر ، الصليب الذي كان يحمله القديس عند حضوره وفاة الملك لويس الثالث عشر ، وكان محفوظاً في كنيسة نوتردام . ومُدّد الجسد على فراش من الحرير البنفسجي . ثم خُتم الصندوق وظلّ معروضاً للاكرام ١٣ يوماً .

وفي ٢٤ نيسان ١٨٣٠ ، الساعة الثانية بعد الظهر ، بدأ الاحتفال ، فاقيمت صلوات فاه بعدها بعظة بليغة الاب ماتيو ، الذي صار فيما بعد كردينالاً . وفي صباح اليوم التالي اكتظّت طرقات العاصمة ، فاقيم قداس صارخ . والساعة الثانية بعد الظهر سار الموكب الفخم بحية السيد لامبروشيني (Lambruschini) السفير البابوي في باريس ، والسيد دي كيلان ، رئيس اساقفتها . فاستقبله في كنيسة اللازريين رئيسهم العام الاب سالورن (Salhorgne) حسب المراسيم الدينية . وهنا فاه رئيس الاساقفة بخطبة بليغة اجابه عنها

الرئيس العام . ودامت الاحتفالات تسعة ايام متواليـة ، زار في اثنائها كنيسة اللازريين عشرات الالوف من الناس . ومن جملتهم ملك فرنسة شارل العاشر مع اعضاء الاسرة المالكة ، والدوقة دي باري (Berry) . وقد رغب الملك الى رئيس الاساقفة في ان يضرب على نفقته ايقونةً تذكارية لهـذا الاحتفال . فنقشت ايقونة تمثل من جهة العذراء حاملة الطفل ، ومن الجهة الثانية القديس منصور ، فضُرب منها ٣٠,٠٠٠ من ذهب وفضة ونحاس .

هذا هو الاحتفال العظيم الـذي قام بتذكاره المثوي الآباء اللازريون في باريس فاشتركت معهم بالروح الملايين من البشر التي خُففت عذاباتها وبلاياهـا بفضل ابناء القديس منصور ، بطل المحبة الخالد ، وشفيع جميع الشركات الخيرية في العالم كله .

المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب

نشرنا في مشرق السنة الثانية (ص٣٧٨) عدة فوائد عن محصولات بلادنا الزراعيـة مدة سنة ١٩٢٧ ، اخذناها عن نشرة بنك سورية ولبنان الكبير ؛ فرأينا اليوم ان نتم تلك الفوائد بنشر ما يقابلها عن سنة ١٩٢٨ ، آخذين ذلك عن العدد الخامس (١٩٢٩) من النشرة ذاتها :

الزراعة

الحالة الزراعية العامة

كانت النتائج الزراعية في سنة ١٩٢٨ اضعف مما كانت عليـه اجمالًا في السنوات السابقة . فانه فضلًا عن تأثير الجراد وغيره من الحشرات الضارّة في بعض الاماكن ، كان الجفاف المستمر في فصل الشتاء والربيع في مجمل المناطق ، والهواء المحرق الذي هبّ على الشواطئ في الربيع من افعل اسباب المحل . فقلت الغلال غير كافية بل ماحلة في الكثير من المناطق ، لاسيما في ما خصّ الحبوب . اما مساحة الاراضي المحروثـة سنة ١٩٢٨ فكانت هي نفسها على التقريب في السنة السابقة .

الحبوب

بلغت مزروعـات الحبوب الشتوية ، اي القمح والشعير ، في سنة ١٩٢٨ ، حسب احدث التقديرات ، مساحة ٧٧٥,٢٩٠ هكتارًا ، وكانت قد بلغت في السنة الفائتة ٧٦٠,٧٠٠ هكتار . وهي تقسم كما يلي : ٤١٤,٣٩٠ هكتارًا للقمح

تقابل ٤٩٥,٥٠٠ هكتار سنة ١٩٢٧ ، و٣٦٠,٩٠٠ هكتار للشعير تقابل ٢٦٥,٢٠٠ هكتار في سنة ١٩٢٧.

ولكن على الرغم من هذه الزيادة المهمة في مساحة المزروعات ، ولاسيما الشعير الذي عزز زراعته سهولة تصريفه حتى كادت تبلغ مساحة الارض المخصصة له مساحة ارض القمح ، فان محصولات هذين النوعين كانت غير كافية لما اضرّ بالمزروعات من تقلب الاحوال الجوية . فلم يبلغ محصول القمح الا ١٧٤,٠٠٠ طن يقابلها ٣٦٢,٠٠٠ طن في سنة ١٩٢٧ ، وبلغ محصول الشعير ٢٩٨٠٠٠ طن يقابلها ٣٣٥,٦٢٢ طناً سنة ١٩٢٧.

وان مقابلة محصولات هاتين السنتين وقد كانت الامطار في الاولى منها كافية ، وفي الثانية ناقصة عن المعدل المعتاد ، تظهر اهمية الامطار ، وما يكون من المنفعة العظيمة لمجمل مناطق الانتداب اذا تحقق مشروع الري الذي لا يزال الآن تحت الدرس.

وقد لحق ضرر الجفاف ذاته بزراعة الحبوب الصيفية كالذرة البيضاء والصفراء . وكان من نتائج ذلك ان نقصت مساحة الارض المزروعة ونقصت المحصولات ايضاً . فلم تبلغ المحصولات الّا ٧٢,٠٠٠ طن في مساحة ٥٥,٠٠٠ هكتار يقابلها ٨٠,٦٥٠ طناً في مساحة ٦٣,٩٨٠ هكتاراً في السنة الفائتة.

هذا وقد رأينا الى جنب هذه المزروعات التقليدية نوعاً جديداً ظهر في بلاد العلويين ، في الجهة الشمالية من قضاء مصياف ، وهو زراعة الرز . وقد نجحت تجاربها النجاح الكافي الّا ان رخص هذا الصنف في السوق العالمية لا يسمح للمزارعين الوطنيين بمنافسة غيرهم ، ومن ثمّ يعيق تقدّم هذه الزراعة.

القطن

ان النتائج السيئة التي ظهرت في محصولات القطن سنة ١٩٢٧ بسبب سوء الاحوال الجوية أثّرت في مزارعي سورية ، فصرفتهم عن زراعة القطن الى غيرها فلم يخصصوا بهذا الصنف الّا ٤,٣٨٥ هكتاراً يقابلها في السنة الفائتة ١٣,٦٠٥ هكتارات. فكان من نتيجة هذا الانقاص ، ومن نتيجة جفاف الشتاء ايضاً ، ان المحصولات لم ترد عن ٥,٧٠٠ بالة بعد ان بلغت ٢٠,٠٠٠ بالة سنة ١٩٢٧ .

بيد ان النتيجة كانت على عكس هذه في دولة العلويين حيث تقدمت زراعة القطن تقدماً محسوساً على الرغم من ان احوال المناخ لم تكن احسن منها في سورية ، فارتفعت مساحة الارض المزروعة من ٣٠٠ هكتار في سنة ١٩٢٥ الى ٣,٠٠٠ هكتار في سنة ١٩٢٨ ، وبلغت الصادرات نحو ٣,٥٠٠ بالة

وكان السبب المهم لهذا التقدم استعمال نوع جديد من القطن هو المعروف «بلون ستار» الذي استبدل به مجمل المزارعين النوع الوطني القديم. ويكفي ان نذكر ان محصول الهكتار ، بفضل هذا الاستبدال ، ارتفع من ٥٠٠ فرنك الى ٤,٠٠٠ فرنك حتى نبين كل ما في هذه الزراعة من المنفعة لمناطق الانتداب.

وعليه فقد عينت «الشركة القطنية للمستعمرات» في فرنسة ممثلاً عاماً ، مركزه اللاذقية ، ومهمته ان يضع ، بالاتفاق مع الحكومة الوطنية وممثل السلطة المنتدبة ، برنامجاً لتوسيع مجال هذه الزراعة يطبق على مجمل مناطق الانتداب.

الدخان

بلغت محصولات الدخان في لبنان ٧٠٠,٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٦٥٠,٠٠٠ في سنة ١٩٢٧ ، وبلغت في بلاد العلويين ٥٧٢,٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٥٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٢٧ . ويعتبر ان الجفاف الحاصل في لبنان أثر في محصولاته فانقصها نحو الثلث.

الصوف

يظهر من المعلومات المستقاة من اشهر محلات اصدار الصوف ان محصولات هذا الصنف في السنتين الاخيرتين كانت كما يلي:

محل الاصدار	١٩٢٧ كيلوغرام	١٩٢٨ كيلوغرام
حلب	٣,٦٦٠,٠٠٠	٢,٨٥٠,٠٠٠
حماه		٤٠٠,٠٠٠
حمص	٥٨٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠
دمشق		٣٨٠,٠٠٠
المجموع	٤,٢٤٠,٠٠٠	٣,٧٥٠,٠٠٠

اما النقص في محصولات سنة ١٩٢٨ فناتج عن الجفاف ، فالمحل في المراعي الذي اضعف القطعان فقلل عدد رؤوسها . ولكن مهما يكن من ذلك فان هذه النتائج لا تزال حسنة وهي تمثل مورداً من اهم موارد سورية . اما البلاد التي تشتري الصوف السوري فاولها اميركة التي اشترت ثلاثة ارباع المحصول ، ثم ايطالية ، ففرنسة ، فانكلترة ، فتركية .

الزيتون

ان محصولات الزيتون اتت بنتائج مقبولة ، اذا اعتبرنا مجمل مناطق الانتداب ، فتراها بلغت ٤٠٢,٨١٥ قنطاراً يقابلها ٥٠٩,٦٣٦ قنطاراً سنة ١٩٢٧ . الّا انها امتازت بامر غريب وهو عدم مبادلتها في كل المناطق . من ذلك ان زيتون الشواطئ تأثر كثيراً بالحوادث الجوية السيئة فلم يبلغ محصوله في لبنان الّا ١٠٠,٠٠٠ قنطار يقابلها ٣٠٠,٠٠٠ في السنة السابقة ، ولم يبلغ محصوله ، في بلاد العلويين الا ٣٦,٠٠٠ قنطار يقابلها ١٠٨,٠٠٠ في السنة السابقة على حين ان مساحة الزيتون لم تتغير .

اما في الداخلية فكان الامر على خلاف ذلك فان منطقة الزيتون الكبرى في نواحي ادلب والحارم اتت بنتائج غاية في الحسن ، على الرغم من نقص قليل حدث في مساحة الارض المغروسة زيتوناً ، فبلغت محصولات ٢٦٦,٠٠٠ قنطار يقابلها ٩٩,٠٠٠ قنطار سنة ١٩٢٧

وسبب هذ الاختلاف ميزة من ميزات الزيتون في مناطق الانتداب ، اذ يتعلق محصوله بنوعين من الاراضي متباينين كل التباين من حيث التأثر بالعوامل الجوية . حتى انه من الصعب ان تكون المحصولات حسنة ، في السنة ذاتها ، في الداخلية وعلى الشواطئ .

هذا وان الحكومات الوطنية التي عرفت اهمية الزيتون في موارد البلاد الاقتصادية ، وسعة الارض المخصصة لغرسه ، لا تألو جهداً في سبيل تعزيزه وزيادة انتشاره . وهكذا فان الحكومة اللبنانية باعت بثمن قليل الى من طلب ذلك من الزارعين ، نحو خمسة عشر الف نصبة من مطاعيم الزيتون .

مطبوعات شرقية جديدة

F. Falck : L'Algérie, un siècle de colonisation française. *Gr. in-8°, 2 cartes, 52 photogr. Prix : 15 f. Paris, Edition Notre domaine colonial.*

الجزائر : مائة سنة من الاستعمار الفرنساوي

مؤلف الكتاب من موظفي ادارة الحكومة العامة في الجزائر . وعليه فهو مطلع تمام الاطلاع على انظمة البلاد ، واقتصادياتها . وقد جاء كتابه وافياً بالموضوع على الرغم من كون القسم المختص بالجغرافية الطبيعية مقتضباً نوعاً ما في نظرنا . على ان الكتاب ينيل المؤلف غايته ، وهي ان يظهر الثروات الطبيعية في افريقية الشمالية .

ج . ل

Paul Huvelin : Etudes d'histoire du droit commercial romain (histoire externe — droit maritime). *Ouvrage publié après la mort de l'auteur par* H. Lévy-Bruhl, *augmenté d'un appendice. in-8° de 298 pp. 1929, Librairie du Recueil Sirey.*

دروس في تاريخ الحقوق الرومانية التجارية

جمع هذا الكتاب مواد عدة دروس القاها المؤلف في ليون ، قبل الحرب الكبرى ، على طلاب الدكتوراه في الحقوق . وانه يلذ لجميع مريدي المؤلف المرحوم ان يطالعوا اقوال من رفعه اخلاصه للعلم الى اسمى درجات الاعتبار . وقد الحق به السيد لاڤي - بروهل ، الواقف على طبعه ، رسالتين نادرتين في العلاقات بين الحقوق والعقائد الدينية ، ومن ذلك اللوحات السحرية والحق الروماني . ويشمل المجلد تاريخ الحقوق الرومانية التجارية من اوائلها الى العهد البيزنطي ، ثم بحثاً في حقوق النقليات البحرية . وذكر في الختام جدول بالنصوص الموردة .

ج . ل .

A. Lugan : L'évangile et les biens terrestres. *Edition Spes Prix : 9 f.*

الانجيل والخيرات الارضية

هي حلقة من سلسلة الابحاث المعروفة باسم « الفكر والعمل الاجتماعي في

الدين المسيحي » خصها المؤلف بمسائل الملكية ، والمال ، والفقر ، والصدقة ، والفائدة ، فاتى في كل ذلك على امور مهمة ، ولاسيا في عصرنا . فيجدر بكل كاثوليكي الاطلاع عليها .

La Médecine dans les Missions, *conférences données à l'Institut Catholique de Paris*. 1928-1929. 1 *vol.* (12 × 19). 256 *pp. Bloud et Gay, Paris. Prix :* 14 *f*.

الطب في الارساليات

لقد خصص « اتحاد الارساليات الاكليريكية » بهذا الموضوع المهم سلسلة محاضرات ، القيت في المعهد الكاثوليكي في باريس ، قام بها عدة اختصاصيين من مشهوري العالم الطبي ومشهوري اهل الارساليات رجالاً ونساء . فشملوا الموضوع من جميع اطرافه ، مبتدئين بالاشارة الى الهمة التي بذلها قداسة البابا بيوس الحادي عشر في تلقين المبادئ الطبية لافراد المرسلين . ثم تبسطوا في كيفية هذا التلقين . ومن ثم انتقلوا الى وصف اهم الامراض التي يصادفها المرسلون ، وتشخيصها ، وكيفية مداواتها والوقاية منها . وقد خصت المحاضرات الاربع الاخيرة بعمل الراهبات المرسلات التي تظهر معاونتهن ثمينة جداً في المستشفيات والمستوصفات .

Louis Houllevigue : La vie du Globe et la Science Moderne. 1 *vol. in*-18, 22 *fig. Armand Colin, Paris. Prix*: 14 *f*.

حياة الكرة الارضية والعلم العصري

عرف السيد هولفيك ، الاستاذ بجامعة اكس - مرسيليا بابحاثه السابقة في « المادة » ، و « تطور العلوم » و « السماء والجو » ، وها هو يجتهد اليوم بان يفيد من يرغب من القراء في فتح ميادين جديدة لترويض الفكر بالابحاث العلمية النظرية . وان المواضيع التي يطرقها في هذا الكتاب لغاية بالاهمية لانها تمس حياة كرتنا الارضية ، وتبسط بعض الاشعة على تكوينها ، وماضيها وحاضرها ومستقبلها . والمؤلف يقوم بكل هذا بلغة سهلة ، واسلوب واضح ، فيذكر كيف وسعت الاكتشافات العلمية معلوماتنا بهذه المواضيع ، ويقرر المبادئ العامة لدرس طبيعة الكون ، وهي القواعد التي قليلاً ما تتغير ، مع انها في تطور دائم .

E. Granger : Atlas-guide géographique « Alpina ». *Editions Alpina, Paris. Prix : 15 f.*

دليل جغرافي مصوّر

هذا دليل صغير بحجم الجيب غاية في الفائدة ليس فقط بخرائطه الملوّنة العديدة التي لم ينسَ المؤلف فيها بلادنا ، بل بوفرة ما فيه من المعلومات الدقيقة ، وبجدوله الابجدي الاخير .

M. Florisoone : Le Cardinal Dubois. [*Biblioth. Cath. illustrée*] 1 *vol. in-16, 64 pp., une centaine d'illustr., Bloud et Gay, Paris. Prix : 4 f.,75*

الكردينال ديبوى

لم تمرّ الاشهر بعد على ختام حياة الكردينال ديبوى ، وها ان الابحاث في هذه الحياة الخصبة المتنوّعة الاعمال قد بدأت تظهر بالطبع . فقد نظر المؤلف الى مختلف مظاهر حياة الكردينال ، تصوّرها بكلامه ورسومه العديدة الجميلة التي اتحدت مع الكلام فاظهرت الكردينال العظيم بهيئته الطبيعية ، ومواقفه المتعدّدة ، وفكرته السامية .

Romain Rolland : 1 - La vie de Ramakrishna. 1 *vol.*
2 - La vie de Vivekananda. 2 *vol. Paris, Librairie Stock.*

حياة راماكرشنا ، وحياة ڤيڤكانندا

اضاع المؤلف وقته بهذا العمل القليل القيمة الذي يقيم فيه من مظاهر الاضطراب العقلي في الهند امثلة عليا لاهل اوربة . فبعد ان قام بوظيفة المبشّر بالخيل غاندي ، شاء ان يطلع الاوربيين على نفس فتان صرف خمسين سنة (١٨٣٦—١٨٨٦) عرضة لبعض ازمات عصبية عدّها البعض انجذابات . وكان من الطبيعي ان يكون لهذا المنجذب تلاميذ يتأثرون آثاره . فكان من هؤلاء ڤيڤكانندا المتوفى سنة ١٩٠٢ ، بسن الثانية والثلاثين ، وقد خصّ به المؤلف كتابه الثاني .

D. G. Mukergi : Le visage de mon frère, *traduit de l'anglais*, 1929. *Paris, Librairie Stock.*

وجه اخي

المؤلف هندي ابن احد فقهاء كلكتة المعروفين ، اقام اثنتي عشرة سنة

في جامعات انكلترة واميركة ، ثم رجع الى بلاده ، فنشر سنة ١٩٢٤ هذا الكتاب ، الذي طبع في نيويرك ، جامعاً فيه كل ما رأى وسمع مما تفيد معرفته ويمكن الركون اليه لوفرة اطلاع الكاتب . وبين يدينا الترجمة الامينة مع الاقتضاب في بعض الفصول .

E, Bourgeois : Ce qu'il faut connaître du Passé de la France. 1 *vol. sur papier alfa. Boivin et C^ie^, éditeurs, Paris. Prix :* 8 *fs.*

ما تجب معرفته عن ماضي فرنسة

يقوم الاستاذ شارل روبر دوما (Dumas) بنشر سلسلة « عنوانها : ما تجب معرفته ... » غايتها بسط الابحاث العلمية والتاريخية لجمهرة المطالعين. وآخر ما ظهر منها كتاب في تاريخ فرنسة ، ألفه المؤرخ بورجوا ، عضو المجمع العلمي والاستاذ في جامعة السوربون ، فوضع فيه ملخص دروسه التاريخية ، مدة خمسين سنة ، مقروناً الى بعد نظر في البحث ، ووضوح في الحكم ، ومهارة في فن التاريخ الذي اضحى مهنته الخاصة. جمع في ١٨٠ صفحة كل ما يجب على الفرنساويين معرفته عن ماضي بلادهم ، مبتدئاً من اقدم العصور ، منتهياً سنة ١٨٧٠ ، محللاً كل الحوادث المهمة ، مستخلصاً نتائجها العملية التي أثرت في ما مضى ، والتي يجب عليها ان تؤثر في الحاضر والمستقبل ، جاعلاً من كل ذلك عبرة تنادي الفرنسويين حيث كانوا ، في الشارع ، او في المعمل ، او في المكتب ، قائلة : « دونكم من اين جئتم ، ودونكم أين يجب عليكم ان تسيروا ! » والخلاصة ان الاستاذ بورجوا نجح في عمله كل النجاح .

«Yerushalayim» Journal of the Jewish Palestine Exploration Society. Dedicated to the memory of Abraham Mosheh Lunez in commemoration of the tenth year after his death (Iyar 1. 5678). *Edited by I. Press and E. L. Sukenik. Published by Darom Booksellers and Publishers. Jerusalem,* 1928. 400 *pp. in-8°. Prix :* 12 *shil. ou* 3 *dollars.*

اورشليم

هو اثر تذكاري لتكريم العالم اليهودي الربان ابراهيم لونس الذي عمل كثيراً ، على رغم عماه ، في سبيل تقدم الدروس اليهودية والفلسطينية ، وتوفي قبيل انتهاء الحرب الكبرى ، في ١٣ نيسان ١٩١٨ . فقام ابناء ملته بتكريم

ذكراه وألّفوا هذا الكتاب جامعين فيه ٢٦ مقالة باللغة العبرانية تتخلّلها الرسوم والتصاوير ، عن العاديّات الفلسطينية ، والآداب الكتابية واليهودية ، والجغرافية وما قبل التاريخ ، والعلوم الطبيعية ، يتقدّم كل ذلك ترجمة حياة الفقيد ، وجدولان بآثاره رتّبت احدهما ابنته حنه لونص - بولطين . وقد ختم الكتاب بمقالين احدهما باللغة الالمانية من قلم السيد غوته (Guthe) وموضوعه «روب» ، والثاني باللغة الفرنسوية من قلم الاب آبل (Abel) عن الفريشاشيت . ومما يستحق ذكرًا خاصاً من المقالات العبرانية بحث الربّان سيگال (Segal) في ترجوم يوناثان ، والابحاث العاديّة للسادة سوكنيك (Sukenik) عن ضريح يهودي في جبل الزيتون ، وپنكرفيلد (Pinkerfeld) وكروس (Krauss) عن بعض الهياكل القديمة ، والدكتور شالم عن المعدن الظرّاني في مُصى ب. م.

اربعون عاماً في حوران وجبل الدروز

للمطران نيقولاوس قاضي

مطبعة القديس بولس في حريصا ، لبنان — ١٩٤٣ صفحة متوسطة

ومن اجدر بالكلام عن حوران وجبل الدروز من سيادة الحبر الجليل المطران نقولاوس قاضي ، رئيس اساقفة بصرى وحوران ، الذي قضى اربعين عاماً يجول في انحاء ابرشيته ، يدرس اخلاق اهلها وعمل على تحسين احوالهم الروحية والمادية مشاركاً اياهم في السرّاء والضرّاء ، وشاهد عن كثب ثورة حوران الاولى فتدخل في فضها مع سامي باشا الفاروقي ، ثم كان من نصيبه ان يتدخل ايضاً في ثورة الجبل الاخيرة ، فكان في الحالين اميناً على ثقة الدولة الحاكمة ، غيوراً على مصلحة شعبه على اختلاف طوائفه ، مما جعله جديراً بكل اعتبار واحترام . ولم تتأخر المقامات العليا من دينية ومدنية عن اظهار اعتبارها ، فوردته عدّة رسائل اودعها ملحقاً بكتابه لتظلّ شهادات ناطقة بصحة اقواله . ومما يستحق ذكرًا خاصاً ، في الكتاب ، فضلاً عمّا فيه من المعلومات النفيسة الحرّية بكل ثقة ، لهجة المؤلف المفضال الجامعة بين قوّة الحقيقة وبساطة المترفّع عن كل غاية دنيويّة في ذكرها . هذا الى ما في الكتاب من المثل الصالح القائم بتفاني الراعي اليقظ في سبيل رعيته ، المتكل في كل مآتيه على

العناية الالهية . وقد زيّن الكتاب بعدّة رسوم للكنائس التي بنى سيادته في بنائها ، او ترميمها ، في حوران وجبل الدروز ف. ا. ب.

صاحب مختار الصحاح

تأليف عبدالله مخلص

٢٦ صفحة كبيرة

للسيد عبدالله مخلص ، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، هنة لا تني وجلد لا يملّ في التنقيب عن الآثار الادبية القديمة لاسيما ما اتصل منها بالتاريخ وقد افرغ جهده ، في هذا الكتيّب ، في البحث عن صاحب مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، من اهل القرن السابع الهجري ، وعن عصره وما وصل الينا من ترجمته ، فطالع الكتب التاريخية العديدة من مطبوع ومخطوط ، واستفتى كبار العلماء ، ولخّص كل ذلك في صفحات يطالعها المتأدّب ببرهة وجيزة فيستفيد منها ، فضلاً عن المعلومات القيّمة ، طريقة علمية للبحث والتنقيب. ف. ا. ب.

بديعية العميان

لمحمد بن جابر الاندلسي — نشرها عبدالله مخلص

المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٨ — ٥٢ صفحة صغيرة

هذا الكتيّب من آثار السيد عبدالله مخلص ايضاً ، نشر فيه بديعية شمس الدين ابي عبدالله بن جابر الاندلسي الاعمى ، من اهل القرن الثامن الهجري ، المسمّاة « الحلة السيرا في مدح خير الورى » والمعروفة باسم « بديعية العميان » . وقد قدّم عليها بحثاً مفيداً في مخطوطاتها ، وترجمة صاحبها ، وتعريف علم البديع ، وذكر البديعيات المطبوعة والمخطوطة الا انه سها ، في هذا القسم الاخير ، عن ذكر ثلاث بديعيات للخوري ارسانيوس الفاخوري († ١٨٨٣) (اطلب المشرق (٤ [١٩٠١] ٢٦) وقد نشر فيه احداها وهي ميمية على البحر الكامل) وبديعيتين للخوري نقولا الصائغ († ١٧٥٦) (اطلب المشرق (٢٥ [١٩٢٧] ٦٠٢) . وختم الكرّاس بعدّة ملاحظات قيّمة سعادة احمد تيمور باشا. ف. ا. ب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ اذار — ١٥ نيسان

روسية والشرق

* قام قداسة الحبر الاعظم في ١٩ الفائت بقداس صارخ على نية تخفيف الاضطهادات في روسية ، فاشترك بنية الحبر الاعظم ليس العالم الكاثوليكي فحسب ، بل كل العالم المتمدن. ما السوفيت فلم يكونوا ليخفوا من غلوائهم في اضطهاد الاديان جماء ، وقد اذاعت لجنة اتحاد الملاحدة نشرات على جميع فروعها طالبة ازكاء نار الدعاية ضد الدين بمناسبة حلول عيد الفصح عند الطوائف الكاثوليكية والارثوذكسية واليهودية في وقت واحد وتأليف جبهة حربية واحدة لمقاتلة المؤمنين . وقد سعت هذه اللجنة لدى مفوضي الشعب كيما يأذنوا لها ليلة العيد بان تنسف بالديناميت عدة كنائس مسيحية ومجامع يهودية.

* رقي السيد مرغوتي ، ممثل الكرسي الرسولي في الاستانة ، الى الدرجة الاسقفية.

لبنان وسورية

* سقطت وزارة الاستاذ اميل اده في ٢٠ اذار. وبعد تردد دام ثلاثة ايام ، ألفت الوزارة الجديدة في ٢٣ منه ، وقوامها اوغست باشا اديب رئيساً ووزيراً للمالية والزراعة ، والسيد احمد الحسيني للعدلية ، والسيد موسى نمور للداخلية والصحة والاسعاف العام ، وحسين بك الاحدب للاشغال العامة ، والسيد جبران التويني للمعارف . اما برنامج الوزارة الجديدة فوافق بجمله ، حسب تصريح رئيسها ، لبرنامج الوزارة السابقة.

* لا يزال الاضطراب سائداً القضية السورية ، وقد قابل رئيس الجمعية التأسيسية مؤخراً المفوض السامي مقابلة طويلة ، اذاع بعدها الرئيس بياناً على الشعب السوري ضمنه ذكر المراحل التي اجتازتها القضية منذ انعقاد الجمعية التأسيسية وختمه بمناشدة الامة الاتحاد وتأميلها بنيل الاماني مهما طال عليها الوقت ...